MA6 - 398.2 - 15/04

سجل تحت رقم 3818/13
التاريخ
الرقم
84 فيفري 2013

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

الوظيفة الإجتماعية للأمثال الشعبية الجزائرية المتداولة في منطقة تلمسان

رسالة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالبة :
نصيرة شافع بلعيد

تحت إشراف :
الدكتور ابن مالك رشيد
الأستاذ بوزيدي احسن

مكتبة الكلية
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

السنة الجامعية 2000-2001 م
1421 هـ

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار

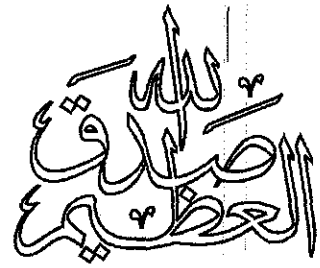

سورة إبراهيم / الآيات 24 و25 و26

إهداء

إلى أمي و أبي اللذين أعتبرهما سرّ الوجود

إلى زوجي الذي ساعدني إلى أقصى الحدود

إلى فلذتي كبدي ، إبني حسام الدين

و ابنتي زينب اللذين أحبهما بلا حدود

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الأطروحة

اعترافا لهم بالجميل

نصيرة شافع بلعيد

شكر

أتوجه بالشكر الجزيل
إلى الأستاذ الفاضل لحسن بوزيدي
على قبوله الإشراف على هذا البحث ،
و على رعايته العلمية و توجيهه المنهجي
لهذه الرسالة طوال فترة إنجازها .
كما أتوجه بالشكر و التقدير
إلى كل الأساتذة الكرام الذين أفادوني بتوجيهاتهم ،
و أخص بالذكر الدكتور الشايب عكاشة
والدكتور سعيدي محمد .
و أشكر كذلك معهد الثقافة الشعبية بجميع
أساتذته الذين وجدت عندهم التعاون والتجاوب
و أخص بالذكر الدكتور بن مالك رشيد .

نصيرة شافع بلعيد

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادي له ، و نصلي و نسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين و على آله و صحبه أجمعين أما بعد :

فموضوع هذه الرسالة " الوظيفة الاجتماعية للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان ".

و قد اخترت هذا الموضوع ، لأن المثل هو نتاج قريحة الجماعة و عصارة خبرتها و تجاربها في الحياة ، كما أنه مرآة تعكس بصدق و أمانة قيم المجتمع و تقاليده و أعرافه ، و لا يخفى على أحد ما للأمثال من شأن لمعرفة روح كل شعب على مر الأيام ، فهي مرآة لهم تكشف عن آراءهم في أهم أمورهم : علاقاتهم بالله و علاقاتهم بالناس ، الرجل منهم و المرأة ، القريب و البعيد ، الجار و الغريب ، الكبير و الصغير و هي تكشف أيضا عن نظرتهم إلى العمل و البطالة و النشاط و الكسل ، و ما يتصل بذلك من صدق أو كذب و استقامة أو انحراف و غيره من الفضائل كالكرم و الشجاعة أو الرذائل كالبخل و الخيانة .

و تظهر الأمثال موقف أصحابها مما يعرض لهم من أحداث تسرّهم أو تحزنهم و ذوقهم في المأكل و المشرب و الملبس ...

و الأمثال الشعبية من أشكال الأدب الشعبي التي ترتبط بحياة النـــاس و المجتمع على اختلاف طبقاته ، و تكشف عما ســـاد الحيـاة الاجتماعيـة و الفكرية من مظاهر التجديد و التطور و الفساد و التأخر و أثر ذلـك كلـه على المجتمع ، كما أن الأمثال الشعبية تدعو إلى ترك الرذائـــل و التمســك بالفضائل و السّجايا المحمودة من أجل إصلاح الفرد و المجتمع .

و نظرا لأهمية هذا الفن الأدبي ، نجد الأدباء و المؤرخين و الجامعيين يعنون به عناية كبيرة منذ القدم ، إذ أفردوا للأمثال كتبا خاصّـــة يمكـن أن يطلق عليها " دواوين الأمثال " و لعل أكبرها شأنا و أشهرها ذكرا في تـاريخ الأدب العربي " مجمع الأمثال " للميداني الذي جمع فيه أكثر من ستة آلاف مثل عربي ، أما في العصر الحديث فقد ظهرت عشرات الدواويـــن حـول الأمثال باللغات المختلفة بما فيها العربية و تنشر القواميس باللغات الأجنبيـة فصلا تجعل فيه أمثال شعبها مثل معجم " لاروس " بالفرنسية .

و اعتادت كثير من المجلات و الصحف أن تنشر في كل عـدد منـها مثلا أو حكمة من لغتها أو مترجمة من لغة أخرى و ذلك لما في الأمثال مـن فائدة .

و ميزة المثل أنه يعبّر عن المعنى الكثير باللفظ القليل ، و خير الكـلام ما قلّ و دلّ ، فبالرغم من صغر حجم المثل إلاّ أنه يفتح أمام الباحثين أبوابـا شتّى تمكنهم من سبر أغوار مواضيع متعددة في ميدان العلوم الإنسانية ، فـلا عجب إذن إن صار المثل بهذه الخصائص كلّها محطّ أنظار الدارسين .

فالعناية بالأمثال لم تكن عبثا و إنما كانت و لا تزال قائمة على نظـــرة مصيبة إلى هذا الجنس الأدبي الذي هو كما يذكر ابن عبد ربه فـــي " العقـــد الفريد " " أبقى من الشعر و أشرف من الخطابة ".

و قد اخترت مدينة " تلمسان " لتكون حيّز بحثي المذكـــــور أعـــلاه ، و ذلك لأنني أنتمي إلى هذه المدينـــة ، و لمعرفتـــي لمجتمعـــها و إدراكـــي لضرورة المشاركة في حماية الفنون القوليـــة الشـــعبية المـــهدّدة بالضيـــاع و الزوال ، إن لم تجند أيد أمينة لصيانتها و إعادة الاعتبار لها ، مع العلم أن تلمسان مدينة قديمة معروفة بتراثها العريق و ثقافتها الأصيلة ، و لكي أنجـز مشروع البحث ، كان عليّ أن أنزل للميدان لجمع الأمثال الشعبية من أفـواه أصحابها ، فأضفت ما جمعته إلى ما دوّن في بعض الكتب التي تتحدث عـــن الأمثال الشعبية في الجزائر عامة و في الغرب الجزائري خاصة .

و تجدر الإشارة هنا إلى أني اتصلت بالعنصر النســـوي أكـــثر مـــن العنصر الرجالي لأن النساء يمثلن الحملة الحقيقيين للتراث الشفهي سيّما فـــي مجال الأمثال الشعبية و خاصة منهم العجائز .

و مما تجدر الإشارة إليه أيضا في هذا الصدد ، هو تشابه و اتحـــاد مضامين الكثير من الأمثال المتداولة في تلمسان بغيرها من الأمثال المتداولـــة في باقي مناطق القطر الجزائري ، و ذلك على الرغم من اختلاف صيغـــها بسبب اختلاف اللهجات من منطقة إلى أخرى في الجزائر ، مما يدل دلالـــة واضحة على وحدة العمق الثقافي السائد لدى أبناء هذه الأمة التي حـــافظت و تشبثت بجذورها الحضارية التي حاول الاستعمار الفرنسي اقتلاعها عبثا .

و قد لاحظت أن الأمثال المتداولة في تلمسان لا تنطق بنفس الطريقة في ولاية تلمسان ذاتها و يرجع هذا إلى اختلاف نطق بعض الحروف من منطقة إلى أخرى ، فحرف " القاف " مثلا ينطق همزة في وسط مدينة تلمسان بينما ينطق " ڤافا " في القرى و الأرياف و ينطق" قافا " في نواحي ندرومة .

و هذا ما جعلني أسجل الأمثال جميعها بحرف القاف لتكون قريبة من الفصحى فتفهم من طرف الجميع في كل مكان .

و قد تم وضع الخطة التي توسمنا فيها النجاعة في إيصال عملية البحث إلى أهدافها المرجوة و ذلك عبر خمس مراحل :

مهدت للبحث بنبذة جغرافية و تاريخية عن مدينة تلمسان بما أني درست وظيفة الأمثال الشعبية المتداولة في هذه المنطقة .

فخصصت الفصل الأول لدخول عتبة موضوع الدراسة عن طريق تعريف المثل لغة كما ورد في الصّحاح و عند الميداني و الزمخشري و غيرهما ...

ثم تعرضت إلى ورود كلمة مثل في القرآن الكريم و تطرق بعض الفلاسفة إليها مثل أفلاطون ، بعد ذلك عرضت تعاريف بعض علماء العرب و الغرب لهذه الكلمة كما تحدثت عن كيفية ظهور المثل الشعبي و وظيفته .

أما الفصل الثاني فيتناول البعد الاجتماعي للأمثال ، و يشمل هذا القسم الأسرة و الزواج من خلال الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان ، كما يتناول صورة المرأة و مكانتها في الأمثال الشعبية ، بالإضافة إلى ذلك ناقشت في هذا الفصل موقف الأمثال الشعبية من العمل و البطالة .

و يحتوي الفصل الثالث على البعد الأخلاقي للأمثال الشعبية ، و قد مهدت له بدراسة نظرية عن المفاهيم الكبرى للحياة الخلقية حيث تحدّثت عن أهم المذاهب الأخلاقية الغربية ثم انتقلت إلى القيم الأخلاقية التي تدعو إليها الأمثال الشعبية .

الفصل الرابع خصصته للبعد الاقتصادي للأمثال ، فتحدثت فيه عن النشاطات الاقتصادية التي تشير إليها الأمثال الشعبية كما تطرقت إلى الادخار و التدبير المنزلي .

أما الفصل الخامس و الأخير فهو عبارة عن دراسة مقارنة للأمثال الشعبية ، بدأته بدراسة مقارنة على المستوى العربي فقارنت الأمثال الجزائرية المتداولة بتلمسان بالأمثال العراقية ثم عرّفت نظرية الانتشار الثقافي لأفسّر التشابه الموجود بين أمثال المنطقتين ، بعد ذلك انتقلت إلى دراسة أخرى مقارنة لكن على المستوى العالمي فقارنت الأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان بالأمثال الإنجليزية .

و في الأخير أنهيت الدراسة بخاتمة ركزت فيها على بلورة النتائج المتوصّل إليها في متن هذا البحث .

و مما تجدر الإشارة إليه ، أنّه بقدر ما كان العثور على رصيد الأمثال ممكنا ، بقدر ما كان العثور على المراجع الدارسة لها من الناحية الاجتماعية صعبا ذلك أن المؤلفات المتوفرة حاليا غالبا ما تناول فيها أصحابها الأمثال من جانبها اللغوي أو الأدبي و قلّما نظروا إليها بالمنظور الاجتماعي المتبنى في هذه الدراسة .

فحقل الثقافة الشعبية يكاد يكون بكرا ، فلا المكتبات قادرة على إمـــداد الباحث بما يحتاجه من وثائق ، و لا الجامعات قادرة على توجيهـــه نحـــو المختصين من رواد هذا الحقل ، فكل ما نستطيع الحصول عليه هو مجموعة من الأمثال جمعت هنا و هناك و بقيت تنتظر من يستثمرها و يخرجها مـــن الصمت إلى مستوى يجعلها قابلة لأن تكون موضوعا للدراسة .

و هنا لابد من الإشارة إلى أن عملية الدراسة هذه لم تتقيد بقيود منـــهج معين من المناهج المطبقة عادة في بحوث العلوم الإنسانية ، لصعوبة الالتزام بتطبيق منهج محدد في مثل هذه الأبحاث ، مع ذلك لم يمنعنـــــي هـــذا مـــن استخدام تقنيات منهجية مثل التحليل و المقارنة التاريخية ، حيـــث انصـــب الاهتمام على رصد و اقتفاء أثر الوظيفة الاجتماعية التي تؤديـــها الأمثـــال الشعبية بين أفراد المجتمع و ذلك استنادا إلى تحليـــل مضامينـــها و تشـــريح المعاني التي تنطوي عليها مع مقارنتها بغيرها.

إذن هذه هي الرسالة في أكبر خطوطها ، و هذه بعض الدراسات التي اشتملت عليها ، فإن كنت قد قدمت بذلك خدمـــة و لـــو متواضعـــة للثقافـــة الشعبية ، فإني سأكون من أسعد الناس و أرضاهم نفسا ، و إلا فحسبي أننـــي اجتهدت بإخلاص و نزاهة ، و الله أســـأل أن يلـــهمني الســـداد و النجـــاح و التوفيق في الفكر و العمل .

التمهيد

نبذة جغرافية وتاريخية عن تلمسان

تلمسان اسم علم لمدينة مشهورة تاريخيا و حضاريا ، سماها الرومان " بوماريا " إلا أن هذا الاسم لا يعني أن المدينة تأسيس روماني ، فلا شك أنها أقدم من وجود الرومان .

و لما استتب الأمر للبربر بعد القضاء على الرومان و الوندال ، أطلقوا عليها بلغتهم اسم " أقادير" الذي يعادل العبارتين العربيتين : " جدار قديم ، و مدينة محصنة " . ثم سميت المدينة " تلمسان " و هذا الاسم في لغة زناتة ، قوم الإقليم ، مركب من (تلم) و معناه تجمع و من (سان) و معناه اثنان أي الصحراء و التل[1] .

تقع تلمسان في الإقليم الغربي من أرض الجزائر ، و هي ولاية إدارية ثقافية ، و اقتصادية ، تحدها ولايات عين تموشنت و سيدي بلعباس و دائرة عين الصفراء، تحيط بها الجبال من جهة و السهول من ناحية أخرى ، تمتاز بغزارة المياه ، و كثرة البساتين المثمرة و المزارع الشاسعة ، و لقد أصاب الخطيب بن مرزوق في قوله عن تلمسان : " يكفيك منها ماؤها و هواؤها "

أما المثل الشعبي فيقول عنها :" تلمسان بماها و هواها و تلحيفة نساها ما تنصابش في البلدان ".

[1] – محمد بن عمرو الطمار – تلمسان عبر العصور – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ص 8

و قد كان موقعها الجغرافي الإستراتيجي من أهم الأسباب التي لمع بها اسمها ، فقد جعلها همزة وصل بين الناحية الشرقية و الناحية الغربية من أرض إفريقيا الشمالية ، من جهة ، و بين الحوض المتوسط و بلاد السود من جهة أخرى ، فكانت بذلك مركزا تجاريا هاما طيلة قرون .

و يعرف موقعها العام في العهد الإسلامي بوجوده بالمغرب الأوسط الواقع بين الغرب الأدنى (تونس) شرقا و المغرب الأقصى غربا .

مرّت تلمسان كغيرها من مدن الوطن على عهود سياسية مختلفة ، حتى جاء العهد الإسلامي ، فكان أول من أدخل الإسلام إلى الجزائر و تلمسان القائد أبو المهاجر دينار سنة 678م ، فانضوت تلمسان تحت لواء الخلافة الإسلامية بالمشرق إلى أن قامت الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى ، فانضمت تلمسان إلى حكمها ، و لما تأسست الدولة المرابطية ، أصبحت تلمسان التي دخلها يوسف ابن تاشفين تابعة لها ، و بعد استيلاء عبد المؤمن بن علي رئيس الدولة الموحدية على تلمسان عام 1139م أمست تلمسان تحت سلطان هذه الدولة .

و عندما نشأت الدولة الزيانية في القرن الثالث عشر الميلادي ، اتخذت تلمسان عاصمة لها ، فنهض بنو زيان بها نهضة واسعة و دفعوا بها دفعة قوية حتى أصبحت تلمسان في عهدهم حاضرة من حواضر العلم و السياسة بالعالم الإسلامي و قد استمرّت هذه الدولة من سنة 635 هـ (1235 م) إلى سنة 963 هـ (1554م) أي 328 سنة ، " و قد اتسعت في هذه الفترة أحوال أهلها ، فلا تجد التلمساني إلاّ تاجرا أو محترفا أو طالبا للعلم أو معلما

أو جنديا مع الجيش يدافع عن وطنه ، و قد كملت صنائعها و الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته "[1] .

كما كانت تلمسان مربعا لعلماء و أدباء طالما افتخر بهم البلاط الزياني ، قصد مدارسها الطلاب من كل فجّ و صوب ، و استوطنها أولياء قد أعجبهم الموقع و راقهم المجتمع .

و منذ القرن الخامس الهجري أخذ التيار الحضاري الإسباني المغربي يتسرّب إلى الجزائر و لا سيما إلى تلمسان حيث نزح عدد كبير من الأندلسيين المهاجرين و سكن قسط وافر منهم تلمسان التي كانت على صلة وثيقة بالأندلس ، فحملوا إليها معهم علومهم و آدابهم و فنونهم و أزيائهم ممّا أدّى إلى بروز عدد وافر من العلماء في الأصول و التفسير و التوحيد و العلوم اللسانية و الرياضية .

إنّ المساجد و المدارس و القصور التي تحلّت بها تلمسان لشاهد قوي على رقيّ الحضارة المغروسة في تلمسان ، و قد تدلّ على أنّ الاتجاه في التعمير كان تابعا للتقاليد الأندلسية المغربية ، و قد كان ملوك بني زيان يفاخرون ملوك المغرب في جميع مقومات الحضارة ، فانساقت أوضاع الفنون الأندلسية المغربية و أساليبها و استحوذت على أهواء و أذواق تلمسان .

[1] – ابن خلدون – المقدمة – المجلد الأول – الطبعة الثانية – دار الكتاب اللبناني بيروت 1961 – ص 349

و في القرن السادس عشر ، دخل الأتراك تلمسان و ألحقوها بدولتهم في الجزائر عام 1555م ، فقاسى الشعب من مرارة تصرفات الجيش التركي المتكوّن من أتراك و مرتزقة ، أضف إلى ذلك أنّ الأتراك انفردوا بامتيازات على حساب أهل البلد ، الأمر الذي اضطرّ أسرات تلمسانية إلى أن يغادروا بلدهم العزيز و يستوطنوا المغرب .

إلا أنّ في عهد محمد عثمان باشا و محمد باي الكبير وقع استقرار نسبي كان له أثره في الميدانيين الاجتماعي و الاقتصادي ، فازدهرت الفلاحة و تربية المواشي كما نشطت بعض الصناعات كالنسيج و الدباغة و النحاس .

و بقيت تلمسان تابعة للأتراك إلى أن تم احتلالها و استعمارها من طرف الجيش الفرنسي سنة 1830 مثل باقي المدن الجزائرية ، و بعد مدّة 132 سنة من الاستعمار و بعد ثورات متعددة – أهمها ثورة أول نوفمبر الكبرى التي استشهد فيها الملايين ، استرجعت الجزائر استقلالها يوم 5 جويلية 1962م ، فدخلت تلمسان مرحلة الحرية و العزّة و الكرامة .

السكان الأصليون للجزائر و تلمسان جزء منها هم البربر أو الأمازيغ ، يسمون البربر نسبة إلى جدهم بربر بن تملان ، مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، كما يسمون أمازيغ نسبة إلى جدهم " مازيغ " المذكور .

و قد اختلط البربر بالعرب بعد الفتوحات الإسلامية ، كما اختلطوا بالأتراك بعد دخول العثمانيين إلى الجزائر حيث تزوج بعض الأتراك المقيمين بتلمسان بالتلمسانيات اللواتي أنجبن ذلك العنصر المسمى : " الكراغلة "[1] أو " الكول أغلي " و الذي يعرف بالعيون الزرقاء و البشرة البيضاء المائلة أحيانا إلى الشقرة ، و قد عاش هذا العنصر حقبة من الزمن على حدة بالجهة الغربية من المدينة و بحي باب الجياد كذلك ، و لكن لم يلبث أن اندمج في المجموعة التلمسانية نابذا مركبه التفوقي الذي طالما تشبث به لكونه من السلالة التي تحكمت و تجبرت حينا من الدهر في البلد .

كما أن الأندلسيين النازحين إثر الاضطهاد الإسباني المسيحي أيضا قد اندمجوا في المجتمع الجزائري بتلمسان عن طريق الزواج فأطلق على هذا الخليط اسم " الحضر "[2] .

رغم المحن المتوالية التي ألمت بتلمسان ، فإنها بقيت محتفظة بما ورثته من التراث الفكري ، فنبغ فيها رجال كانوا السبب في وصول هذا التراث إلينا .

كما ظلت تلمسان متشبثة بعاداتها و تقاليدها ، و المجتمع التلمساني له عاداته الدينية المتعلقة بعيد الفطر و عيد الأضحى و عاشوراء و المولد النبوي و له عاداته العائلية كالسابع و الختان و العرس ، إلا أن بعض العادات اختفت من الممارسات الشعبية مع مرور الأيام كإقامة حفل الزفاف

[1] – الكراغلة : هي ذرية من زواج مختلط (أم تلمسانية و أب تركي)

2 – الخليط من العنصرين التلمساني و الأندلسي ، أطلق عليه في تلمسان الحضر فكان منهم العلماء و الأدباء و الفنانون و الفلاحون و الصناع و التجار ، و كل الأسواق كانت منبثة في حيهم كثيرة الرواج متواصلة الحركة

لمدة سبعة أيام و بقيت بعضها كارتداء الملابس التقليدية و قدوم العريس على ظهر الجواد مرتديا برنوسا ليلة الدخلة .

و تتميز تلمسان بلهجتها المحلية التي يستبدل فيه حرف القاف بالـهمزة ، و تتميز هذه اللهجة المستعملة في الأمثال الشعبية عن اللغة الفصحى بعـدم احترام القواعد اللغوية ، مثلها مثل باقي اللهجات و باستبدال بعض الكلمـات بغيرها كاستبدال كلمة " جميع " بكلمة " كامل " و كلمة " كيـف " بكلمـة " كيفاش " و تحرص تلمسان على المحافظة على تراثها الشعبي الذي يتمثـل في عدة أشكال تعبيرية من بينها المثل الشعبي الذي يعرف في تلمسان باسـم " المعنى " و صيغة الجمع منه " المعاني " هي الأكثر اسـتعمالا و انتشـارا و هذا المصطلح كما نرى يرمز إلى محتوى المثل و مضمونه .

إن تلمسان مدينة رائعة بجمالها ، عريقة بتاريخها ، أصيلـة بتراثـها و ثقافاتها و يكفيها فخرا ما قاله فيها الشعراء على رأسهم: " محمد بن يوسف الثغري " الذي قال عنها :

أيها الحـافظون عهد الـوداد ❁ جددوا أنسنا بباب الجيـاد

كل حسن علـى تلمسـان وقف ❁ و خصوصا على رُبَى العُبَّادِ

ضحك النور في ربـاها و أربى ❁ كهف ضحاكهـا على كل ناد

و سما تاجهـا على كـل تـاج ❁ و نمـا وهدهـا على كل واد

يدّعي غيرها الجمـال فيقضي ❁ حسنـا أن تلك دعـوى زيـاد

و بشعري فهمت معنى عـلاها ❁ من خلالـهـا فهمت في كل واد

الفصل الأول

مدخل إلى المثل

1- تعريف المثل لغة

2- المثل في القرآن الكريم

3- تعريف علماء العرب للمثل

4- تعريف علماء الغرب للمثل

5- المثل في فلسفة أفلاطون

6- ظهور المثل الشعبي و وظيفته

الفصل الأول : مدخل إلى المثل

1- تعريف المثل لغة :

جاء في **الصّحاح** " المثل : ما يضرب به من الأمثال "

فهو الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله ، و تمثـــل فــلان : ضرب مثلا و تمثل بالشيء : ضربه مثلا .

و المثل يعني الشبه ، إذ يقال :" هذا مِثْلُهُ و مَثَلُهُ ، أي شِبْهُهُ و شَبَهُهُ"[1].

قال **المبرد** : " المثل مأخوذ من المثال ، و هو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول ، و الأصل في المثل التشبيه ، يقال : مِثْلُهُ و مَثَلُهُ و مَثِيلُـــهُ أي شِبْهُهُ وَ شَبَهُهُ و شَبِيهُهُ"[2] لقد أشار **الزمخشري** إلى أن أصل كلمة المثل فـــي اللغة هو " النظير "[3]

و عرّف **ابن منظور** المثل :

" بأنه الشيء ، الذي يضرب لشيء مثلا ، فيجعل مثله "[4]

---

[1] – محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – ترتيب : محمود خاطر – مختار الصّحاح – طبع دار المعـــارف بمصر– القاهرة 1973 ص614 .

[2] – الميداني – مجمع الأمثال – مقدمة الكتاب

[3] – الزمخشري – الكشاف – الجزء الرابع – دار الكتاب العربي – بيروت 1947 ص 72

[4] – ابن منظور – لسان العرب – طبعة مصورة عن طبعة بولاق ص 132

و قال **ابن بري** :

" الفرق بين المماثلة و المساواة ، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس و المتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد و لا ينقص ، و أما المماثلة ، فلا تكون إلا في المختلفين نقول : " نحوه كنحوه و فقهه كفقهه و لونه كلونه و طعمه كطعمه ، فإذا قيل : هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسده ، و إذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له من جهة دون جهة "[1]

أما المنجد في اللغة و الإعلام ، فقد نص على أن المثل : " جمع الأمثال ، أي الشبه و النظير و يفيد أيضا : القول السائر بين الناس"[2]

و من خلال التعاريف اللغوية السابقة ، يتضح أن هناك تقاربا و انسجاما في ما بينها ، عكس ما هو الحال بالنسبة للتعريف الاصطلاحي كما سيتضح فيما بعد .

كما أن هذا الانسجام نفسه ، نلمسه في التعريف الذي أورده **أحمد أمين** في كتاب **فجر الإسلام** حيث أشار أن علماء اللغة العربية يقولون : " أن كلمة المثل مأخوذة من قولك : هذا مثل الشيء و مثله كما تقول شبهه و شبهه لأن الأصل فيه التشبيه ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا ... "[3]

---

[1] – ابن منظور – لسان العرب – طبعة مصورة عن طبعة بولاق ص 138

[2] – المنجد في اللغة و الإعلام – مجموعة مؤلفين – دار المشرق – بيروت – 1973 – ط : 21 – ص 747

[3] – أحمد أمين – فجر الإسلام – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة سنة 1964 ص 60

كما يقول **ابن رشيق القيرواني** :

" المَثَل و المِثْل الشبيه و النظير و قيل إنما سميت مثلا لأنـــه مـــاثل لخاطر الإنسان أبدا يتأسى به و يعظ و يأمر و يزجر ... و قال قوم إنما معنى المثل المثال الذي يحذى عليه ، كأنه جعله مقياسا لغيره و قال بعضهم : في المثل ثلاث خلال : إيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه و قد يكـون المثل بمعنى الصفة ".[1]

و يقول **ابن السكيت** :

" المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له و يوافق معنـــى ذلـك اللفـظ معناه ، شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره و قال آخر : سميت الحكم القـائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب "[2]

[1] – ابن رشيق القيرواني – كتاب العمدة – تحقيق محي الدين عبد المجيد – دار الجيل – بيروت 1981 ص 280

[2] – ابن السكيت – إصلاح المنطق – تحقيق أحمد شاكر و عبد السلام هارون – ص 24

2- المثل في القرآن الكريم

من خصائص أسلوب القرآن ضرب الأمثال ، و قد وردت كلمة مثل في القرآن الكريم في مواضيع كثيرة منها قوله تعالى :﴿**وَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَرُونَ**﴾[1] و كذلك قوله تعالى : ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلاً لِّلآخِرِينَ**﴾[2] فجاءت كلمة مثل هنا بمعنى العبرة و الموعظة ، و أيضا في قوله تعالى : ﴿**وَ لَقَد ضَّرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[3]

وردت كلمة مثل للتذكير و الوعظ و الاعتبار و التقرير و تقريب المراد للعقل في تصويره بصورة المحسوس لأن ذلك أثبت في الأذهان و أسرع إلى إقناع الوجدان .

كما وردت الكلمة في قوله جل شأنه ﴿**وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[4] و قد جاءت كلمة مثل هنا بمعنى الآية و العلامة ، فكلام الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام جعله آية تدل على نبوته .

و يقول سبحانه و تعالى :﴿ **وَ للهِ المَثَلُ الأَعْلَى**﴾[5] و تحمل الكلمة في هذه الآية معني التوحيد و نفي مظاهر الشرك .

---

[1] – سورة إبراهيم الآية 25

[2] – سورة الزخرف الآية 56

[3] – سورة الزمر الآية 27

[4] – سورة الزخرف الآية 59

[5] – سورة النحل الآية 60

و في الآية التالية دلّت كلمة "مثل" على التشبيه و المماثلة :

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾[1]

و أمثال القرآن قسمان : قسم ظاهر ، مصرح به بما مثّل الله به حال المنافقين بقوله :

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اِسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[2]

و قسم كامن مثل قوله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ و هو كالمثل المتداول :

- " من جهل شيئا عاداه "

و قوله تعالى : ﴿وَ مَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمْ اللهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ و هو بمعنى المثل المتداول :

" اتق شرّ من أحسنت إليه "

و قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ و هو كالمثل المعروف :

" ليس الخبر كالعيان "

و قوله تعالى : ﴿ وَ الّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يُقْتِرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ و هو كالمثل المعروف :

---

[1] - سورة الزمر الآية 29

[2] - سورة البقرة الآية 17

" خير الأمور أوسطها"

وقوله تعالى : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ و هو كالمثل المعروف :

" كما تدين تدان "

و في القرآن ألفاظ تجري مجرى المثل ، كقوله تعالى :﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾ .

﴿وَ لاَ يحِيقُ المكْرُ السَّيئ إلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ ﴿مَا عَلَى الرَسُولِ إلاَّ البَلاَغ﴾ ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاَّ الإِحْسَان﴾ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَل عَلَى شَاكِلَتِه﴾ ﴿ وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿ لاَ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ﴾ ﴿ وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾ ﴿ وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الطَّيِّبُونَ لِلطَيِّبَاتِ﴾ ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيب﴾ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون﴾ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا﴾[1].

إذن من خلال ما ذكرناه ، يتضح أن كلمة مثل في القرآن الكريم عموما يقصد بها العبرة و الموعظة ، من أجل هداية الناس إلى الطريق المستقيم و المعنى ذاته نجده في كلمة مثل المتداولة في عصرنا هذا ، لأن المثل الآن أيضا يراد فيه المعنى من وراء معنى آخر على سبيل التمثيل و التشبيه كما أنه يهدف إلى توجيه السلوك الإنساني وجهة الخير و السداد من أجل إصلاح الفرد و المجتمع .

[1] –عفيف عبد الفتاح طباره – روح الدين الإسلامي – الطبعة الحادية و العشرون – دار العلم للملايين بيروت لبنان

3- تعريف علماء العرب للمثل

لقد عرّف علماء العرب و مفكريهم المثل في مؤلفات عديدة و كتب مختلفة و قد أخذت منها بعض التعاريف الموجزة و منها ما يلي :

عرّف **ابن المقفع** المثل قائلا : "إذا جعل الكلام مثلا ، كان ذلك أوضح للمنطق و أبين في المعني ، و ألق في السمع و أوسع لشعوب الحديث"[1]

أما **القاسم بن سلام** فعرّفه على ضوء تأليفه لكتاب الأمثال قائلا : "هذا كتاب الأمثال ، و هي حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام ، و بها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق ، بكناية من غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه"[2] .

و يقول **إبراهيم النظام** أنه : " يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه و جودة الكناية فهو نهاية البلاغة "[3] .

و نجد **ابن عبد ربه** في كتابه " **العقد الفريد** " يصف الأمثال قائلا : " الأمثال هي وشي الكلام و جوهر اللفظ و حلي المعاني و هي التي تخيرتها العرب و قدمتها العجم و نطق بها كل زمان و على كل لسان ، فهي أبقى من

---

[1] الميداني -مجمع الأمثال – الجزء الأول – دار مكتبة الحياة – بيروت 1961 ص 5

[2] – السيوطي -المزهر في علوم اللغة – الجزء الأول – دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الثالثة – القاهرة 1958 – ص 486

[3] – الميداني -مجمع الأمثال – مقدمة الكتاب

الشعر و أشرف من الخطابة و لم يسر شيء مسيرها ، و لا عم عمومها حتى قيل : أسير من مثل "[1]

و يقول **الفارابي** في كتابه " **ديوان الأدب** " حسبما يروي عنه **السيوطي** في **المزهر** : " المثل ما ترضاه العامة و الخاصة في لفظه و معناه ، حتى ابتذلوه فيما بينهم و فاهوا به في السراء و الضراء و استدروا به الممتنع من الدر ، و وصلوا به إلى المطالب القصية و تفرجوا به من الكرب و المكربة و هو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة "[2].

و يشيد **أبو هلال العسكري** في مقدمة كتابه " **جمهرة الأمثال** " بالمثل و أهميته قائلا : " رأيت حاجة الشريف إلى آداب اللسان ، بعد سلامته من اللحن ، كحاجته إلى الشاهد و المثل و الشذرة و البدرة و الكلمة السائرة ، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما و يكسبه قبولا و يجعل له قدرا في النفوس و حلاوة في الصدور و يدعوا القلوب إلى وعيه و يبعثها على حفظه ... و لما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام و تدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها و يسهل تداولها ، فهي من أجل الكلام و أنبله و أشرفه و أفضله لقلة ألفاظها و كثرة معانيها ، و من عجائبها أنها مع إيجازها تعمل على الإطناب و لها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب .

---

[1] -ابن عبد ربه-العقد الفريد-مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - الطبعة الثانية - الجزء الثالث - ص 63

[2] -السيوطي - المزهر في علوم اللغة- الجزء الأول - دار إحياء الكتب العربية القاهرة - ص 486

و الأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه ، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه و بالغ في التماسه حتى أتقنه و إنما يحتاج في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها و الإحاطة بأحاديثها و يكمل لذلك من اجتهد في الرواية و تقدم في الدراية ... و قد علم أن كل من لم يعن بها من الأدباء عناية تبلغه أقصى غايتها و أبعد نهايتها ، كان منقرضا في الأدب غير تام الآلة فيه و لا موفور الحظ منه "[1].

و لخّص **الزمخشري** معنى المثل و وظيفته في قوله : " و لضرب العرب الأمثال و استحضار العلماء المثل و النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني و رفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق و المتوهم في معرض المتيقن و الغائب كأنه شاهد و فيه تسكيت للخصم الألذ و قمع لثورة الجامح الأبي ، و لأمر ما أكثر الله في كتابه المبين و في سائر كتبه أمثاله "[2].

و يقول الأستاذ **حسين الجليلي** عن المثل : " الذي اعتقده أن المثل خلاصة حكاية قيلت أو حادثة وقعت في وقت من الأوقات ، فذهبت و بقي المثل رمزا لتلك الحكاية أو موجزا لحوادثها و قد يكون المثل تعليميا أو وعظيا أو إرشاديا ".

[1] – الميداني – مجمع الأمثال – مقدمة الكتاب

[2] –الزمخشري – الكشاف – الجزء الرابع – دار الكتاب العربي – بيروت 1947 ص 72

أما **ابن وهب** فيقول : " و أما الأمثال فإن الحكماء و الأدباء و العلماء لم يزالوا يضربون الأمثال و يبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر و الأشباه و الأمثال ، و يرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا و أقرب مذهبا و لذلك جعلت القدماء أكثر آدابها و ما دونته من علومها بالأمثال و القصص " .

و يعرف **أحمد أمين** الأديب المشهور المثل قائلا : " الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ و حسن المعنى و لطف التشبيه و جودة الكناية و لا تكاد تخلوا منها أمة من الأمم ، و مزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب و ليست في ذلك كالشعر و النثر الفني فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب . و أمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي و الاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة و عادتها و عقليتها و نظرتها إلى الحياة لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت منها "[1].

أما **رشدي صالح** فعرّف المثل بقوله : " إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي و لا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات و الاستعارات و الكنايات التقليدية ".[2]

---

[1] – أحمد أمين – قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية – لجنة التأليف و الترجمة 1953 – القاهرة الجزء الأول ص 61

[2] – أحمد رشدي صالح – فنون الأدب الشعبي – دار المعارف – القاهرة 1954 ص 6

و يعرّف **محمد مرزوقي** المثل قائلا : " الأمثال العامية عبارة عن حكم جمعت في تعابير تمتاز بالإيجاز و البلاغة و الذوق ، وهي تدخل في جميع مظاهر الحياة فهناك أمثال تخص التعامل اليومي بين الناس و أخرى تخص التربية و الأخلاق التي تواضع عليها المجتمع و غيرها تخص الدين أو المجتمع ، بلاغتها و حسن سوغها يسهل على الإنسان حفظها و تتعلق بالذهن بمجرد سماعها لأنها تدل على حقيقة من حقائق الحياة الثابتة التي لا تتغير ، فهي صالحة لكل زمان و مكان لأنها نتيجة تجارب اجتماعية أو فردية ، و هي خلاصة حضارة المجتمع الإنساني ، أي أنها تكاد تكون حقائق إنسانية شاملة "[1].

و يقول **بوتاران** في مقدمة كتابه " الأمثال الشعبية الجزائرية " عن الأمثال : " إنها كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها الملامح الخاصة بكل قوم ، و ذلك لأنها وليدة التاريخ و الجغرافيا و المناخ و التربة ، و خاصيتها الأساسية هي الإيجاز ، فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني ، و تحتوي على نمط من الأخلاق ، و على فلسفة ، بل على فن للحياة "[2].

أما تعريف **الدكتورة نبيلة إبراهيم** فيعتبر من أهم التعاريف المعاصرة حيث تقول : " المثل قول قصير مشبع بالذكاء و الحكمة ، و لسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير ، إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية يعيش تجربة المثل و يعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا "[3].

---

[1] – محمد المرزوقي – الأدب الشعبي – الدار التونسية للنشر 1967 ص 33

[2] –قادة بوتاران – الأمثال الشعبية الجزائرية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 87 ص 5

[3] – د. نبيلة إبراهيم – أشكال التعبير الشعبي – دار المعارف – ط 3 – ص 98

و هكذا نستشف من التعريفات السابقة أن بعضها قد ركز فيها أصحابها على الخصائص الأسلوبية للمثل ، و ركز بعضهم الآخر على المضمون في حين اهتم بعضهم بهذه الخصائص كلها.

و لابد من الإشارة إلى الاختلاف الموجود في عبارة المصطلح نفسه ، حيث أن هناك من يسميها الأمثال العامية و هناك من يطلق عليها اسم الأمثال الشعبية .

فإذا كانت صفة العامية تلحق بنوع من الأمثال لكونها متداولة باللهجات العامية و كونها رائجة بين عامة الناس ، فإن صفة الشعبية بقيت مقاييسها متأرجحة بين موازين الباحثين و لم تستقر معاييرها على حال ، مع ذلك يمكننا القول أن معيار الشعبية لا يقتصر على الأثر الفني المكتوب بالعامية ، بل إن الأدب الفصيح قد يكتسي هو الآخر طابع الشعبية إذا عبر عن آلام الشعب و آماله .

و في الأخير ، نشير إلى أن التعاريف السابقة تكاد تتفق على أن المثل الشعبي هو خطاب لغوي أدبي قصير ، أساسه الإيجاز اللفظي و الدقة التعبيرية يقوم على العلاقة التشبيهية بين موضوعين ، موقفين أو حادثين .

كما يستنبط منها أيضا أن الطابع الاجتماعي يعد خاصية أساسية من الخصائص التي يتميز بها المثل .

4- تعريف علماء الغرب للمثل

أما في الغرب فإننا نجد أيضا تعاريف كثيرة و مختلفة للمثل ، منها ما يوجد في معاجم اللغة و الدراسات الأكاديمية و منها ما ينسب إلـــى علمـــاء معروفين .

تعرّف **دائرة المعارف البريطانية** المثل بأنه : " جملة قصيرة موجـــزة مصيبة المعنى شائعة الاستعمال "[1].

أما **دائرة المعارف الأمريكية** فتعرّفه بقولها : " المثل جملـــة قصـــيرة مصيبة المعنى تستحضر بدقة الحقيقة الشائعة و تتولد أساسا في المجتمعـــات الأولى بأسلوب عامي غير أدبي و تكون شكلا فولكلوريا شـــائعا فـــي كـــل الأجيال ".[2]

و تقول **دائرة المعارف الفرنسية** : " الأمثال أصداء للتجربة و المثل هو اختصار معبر في كلمات قليلة أصبح شعبيا "[3].

و نلاحظ أن دوائر المعارف الغربية هذه ، يتشابه تعريفها للمثل إلـــى حد بعيد ، حيث تشترك في وصفه بالإيجاز و إصابة المعنى و الشيوع فـــي الاستعمال ، إلا أننا نلاحظ أن دائرة المعارف الفرنسية قد أضافت التجربة .

أما بالنسبة لعلماء الغرب فإننا نجد **تايلور** الذي يعرّف المثـــل قـــائلا : " المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية يوصي - في غالب الأحيـــان - بعمل أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع "[1].

---

[1] -دائرة المعارف البريطانية 1966 . Encyclopedia Britannica Vol. 18 P. 687

[2] - دائرة العارف الأمريكية 1956 . The Encyclopedia American Vol. 22 P. 705

[3] - دائرة المعارف الفرنسية (لاروس) Larousse du XX° Siecle

كما عرّفه **سوكولوف** بأنه " جملة قصيرة صورها شائعة تجري سهلة في لغة كل يوم أسلوبها مجازي و تسود مقاطعها الموسيقى اللفظية "[2].

و يقول **ألكسندر كراب** [3] في تعريف المثل : " يعبر المثل في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر سهل ، حتى يتداوله جمهور واسع من الناس ، فهو يعبر عن حقيقة عامة أو صدق عام ".

و يقول كذلك : " إن الأمثال و هي من أساليب الفلكلور العريقة ، تردد خلاصة التجربة اليومية و إن الإبداع في صياغة الأمثال يكمن في إبداع أفراد في الأصل ، و لكن جمهرة الشعب و العامة هم الذين أذاعوها و روجوها و تواتروها ."[4]

و يقول **غوستاف لوبون** : " إن العقل يتناول الحقائق المقررة على شكل أفكار موجزة ".

أما الباحث الألماني **فريدريك زايلر** فيرى أن المثل هو : " عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل و يغلب عليها الطابع التعليمي ، و تبدو في شكل فني أكثر إتقانا من أسلوب الحديث العادي"[5].

---

[1] – فنون الأدب الشعبي – رشدي صالح – دار المعارف – القاهرة – 1954 ص 335

[2] – – فنون الأدب الشعبي – رشدي صالح – دار المعارف – القاهرة – 1954 ص 336

[3] –أحد علماء الفولكلور في العصر الحديث و هو صاحب كتاب "علم الفلكلور" الذي ترجمه رشدي صالح

[4] – الكسندر كراب – علم الفلكلور – ترجمة رشدي صالح – دار الكتاب العربي – القاهرة 67 ص 235

[5] – أحمد أبو زيد و آخرون – دراسات في الفلكلور – دار الثقافة – القاهرة 72 ص 311

5- المثل في فلسفة أفلاطون [1]

شرح **أفلاطون** نظريته في المثل في أشهر كتبه و هو " **الجمهورية** " ، فالمثل في نظره هو الموضوع الحقيقي للمعرفة ، و الكائنات الحية على تغيرها و تناقضها أحيانا تمثل صورا كلية ، أي نماذج أو مثلا عقلية مجردة من المادة ، هي الأجناس و الأنواع بل الماهيات الكاملة .

فالعالم الحسي المتغير بطبيعته ناقص تكمن حقيقته في الماهيات الثابتة ، و هي معقولات صرفة و كاملة تتمتع بوجود فعلي في عالم معقول هو أصل و مثال للعالم الحسي ، لا يتخلله الفساد و مفارق للمادة أي للعالم المحسوس .

فالمثال نموذج مطلق لجميع الأشياء الكائنة كما أنه نموذج الجسم و مثله الأعلى و قد تحققت فيه كمالات النوع .

فالمثل هي مبادئ العالم المحسوس و مصادره ، فهو يعبر عن مجموعة تدخل فيه الأشياء أو الأفراد المتجانسة كالأفراد الذين يدخلون كلهم في جنس الإنسان ، فهو صورة عقلية أو ذهنية تجمع الأشياء المتجانسة في حقيقة مطلقة[2].

من خلال ما ذكرناه يتضح أن المثل عند أفلاطون صورة عقلية مطلقة للعالم الحسي ، فالمثل له وجود سابق مطلق لجميع الأشياء الموجودة في العالم و المعرفة عنده ما هي إلا عملية تذكر.

---

[1] – أفلاطون فيلسوف يوناني و لد في أثينا سنة 427 ق م من عائلة أرستقراطية و كان تلميذ سقراط و هو صاحب الكتاب المشهور الذي عنوانه "الجمهورية" توفي سنة 347 ق م

[2] – حنا الفاخوري – خليل الجر – تاريخ الفلسفة العربية – مؤسسة بدران – بيروت 1966 – ص44

و نلاحظ أن تعريف **أفلاطون** لكلمة " مثل " يعد فلسفيا ، إلا أنه يتفق مع تعريف كلمة مثل المتداولة في عصرنا هذا ، لأن المثل عند أفلاطون يرمز إلى العالم المثالي ، الذي هو عالم الكمال و المثل في عصرنا أيضا يرمز إلى الكمال بما أنه يربي المجتمع و يهدف إلى إصلاح أفراده و توجيههم .

بالإضافة إلى ما ذكر ، فقد كانت كلمة " مثال " تعني لدى **أفلاطون** الصورة الأولى المرئية ثم أصبح معناها الصورة بصفة عامة ، أي أنها كانت تعني شيئا موضوعيا و لم تحمل أبدا ذلك المعنى الذاتي الذي تحمله اليوم و على أية حال فهي عند **أفلاطون** ليست أكثر من اسم لذلك الشيء الواحد ذاته ، الذي هو شيء في ذاته كامل و خالص و خالد ، و هذه العبارة بدورها هي ما استخلصه **أفلاطون** من بحث سقراط عن التعريفات ، و من وجود الأسماء الكلية . إذن ، فهذه المثل هي نقطة الابتداء التي كان يبحث عنها أفلاطون ليضمن السداد في كل من الجانبين العملي و النظري ، فقد كان يبحث عنها لتكون له نوعا من الدين ، فقد عدها أفلاطون إلهية .

" فلأن تعتقد في هذه المثل و تسعى إليها معناه أن تكون فيلسوفا و ذلك هو التعريف العميق لما هي الفلسفة و ما هو طلب الحكمة ، و لأن تكون جاهلا بها أو لا تعتقد فيها عندما تذكر لك معناه ألا تكون فيلسوفا على الأصالة ، و العلم بالمثل هو النوع الأول الممكن من المعرفة ، لأننا إذا أردنا الدقة قلنا أن ما لا يتغير هو وحده الذي يمكن معرفته . و الصور وحدها هي الثابتة ، فإذا قلنا أن القمر بدرا ثم قلنا أن القمر قد تناقص فلا يمكن أن نكون قد عرفنا معرفة دقيقة أن القمر كان بدرا .

فما هو موجود وجودا كاملا هو وحده الذي يمكـــن معرفتـــه معرفـــة كاملة ، و على ذلك فهناك فرق في النوع بين الـــمعرفة التي تجعل الصـــور موضوعها و الظن الذي يجعل موضوعه هذا العالم الـــمتغير المختلط ."[1]

و الصور على أية حال هي تفسير العالم الظاهر إلى الحد الذي يمكـــن لنا أن نفسره ، فهذا الكون هو النتيجة الناشـــــئة عـــن مزيـــج مـــن العقـــل و الضرورة و من ثم فإن كلامنا عنه لا يزيد على رواية مرجحة ، و لكـــــن الذي لا شك فيه هو أنه مهما يكن من أمر الحقيقة الموجـــودة فـــي الأشـــياء الظاهرة ، فهي حقيقة تأتي إليها من الصور التي تسمي هذه الأشياء تبعا لها .

و إلى جانب الصور و المرئيات هناك شيء ثالث هو الوعـــاء الـــذي يكون لكل صيرورة و الذي يشبه الذهب في أنه يأخذ أي شكل ، أي أنه يكون نوعا من المقر تتم فيه الصيرورة ، و هذه الصيرورة نلقفها عن غير طريـــق الحواس ، بواسطة ضرب من التدليل .

و كل الظن ناقص و لكنه ليس ناقصا كله بالتساوي ، بل الأمر علـــى عكس ذلك ، فإن أولئك الذين يعرفون الصور ستكون لديهم أراء ظنية عـــن هذا العالم أفضل من أولئك الذين لا يعرفونها و تلك هي الحقيقة الرئيسية التي تؤدي بنا إلى السياسة الفاضلة .

إذا فالمثل عند **أفلاطون** و المثل عندنا في عصرنا هـــذا لـــهما نفـــس الهدف و هو إصلاح المجتمع و تهذيبه من أجل رفعه إلى مستوى الكمـــال ، أضف إلى ذلك أن **أفلاطون** كان يبحث عن المثل لتكون له نوعا من الديـــن ، و الأمثال عندنا تتفق إلى حد بعيد مع ما يدعو إليه الدين من قيم و مبادئ .

[1] – الموسوعة الفلسفية – ترجمة عن الإنجليزية – مجموعة من الأساتذة –طبعة مكتبة الأنجلومصرية 1963 ص 48

6- ظهور المثل الشعبي و وظيفته

المثل هو القول السائر ، الجاري على ألسنة الناس لتعريف الشيء بما سبقه من أشياء أو حوادث متشابهة ، فالأمثال أفكار اختلجت في النفوس و معان تصورت في الأذهان و جاشت بها الصدور و اتصلت بالخواطر ثم أكدتها التجارب فجرت على ألسنة البلغاء و الفصحاء و سارت مع الزمان معبرة عن قصة وقعت أو تجربة حدثت أو أسطورة تروى و خرافة تحكى .

و عند استعراضنا للتعاريف الكثيرة التي وضعت للمثل ، فإننا نجد أن المصدر الحقيقي للأمثال في كل العصور و في كل مكان هو الشعب ، فالشعب هو الذي يصوغ هذه الحكمة و هو الذي يعطيها القوة الدافعة للانتشار ، كما يعطيها صكا بالبقاء أو الفناء ، لذلك نجد أن التعريفات مهما اختلف زمانها و مكانها فإنها تتفق إلى حد ما و لو في بعض العناصر ، ذلك لأن الأصل واحد و التربة تكاد تتشابه ، فمصدرها الشعب و تربتها الشعب و طبيعي في هذه الحالة أن لا تكون الأمثال إفرازا ذهنيا بعيدا عن واقع المجتمع و هموم الفرد ضمن إطاره .

فالأمثال نتاج التجربة و الممارسة مثلما هي نتاج الواقع و البيئة التي ولدت في أحضانها . و الأمثال لم تلعب دورا في حياة أي شعب من الشعوب كما هو الحال عند العرب ، و إذا كان الشعر ديوان العرب حفظوا به أنسابهم و افتخروا فيه بمآثرهم و اختزنوا بأبياته ما يدل على حياتهم العقلية ، فإن الأمثال كان لها أثر بارز في حياتهم ، فهي إلى كونها خلاصة أفكارهم و نتاج تجاربهم سجل حافل بعاداتهم و طبائعهم و مرآة لحياتهم و صورة صادقة للبيئة العربية و ما حوته من معالم البداوة و الحضارة ، ففي أمثال

البداوة تتمثل بيئة الصحراء و حضارتها ، أما في أمثال الحضر فالإنسان ذاته يتجلى في ميوله و أهوائه و أخلاقه و طبائعه ، و هي أغنى من أمثال البداوة و أشمل و أخف تركيبا و أرق لفظا .

و لما انتشر الإسلام خارج بلاد العرب ، و اختلط بهم الأعاجم و امتدت الحضارة الإسلامية و اشتملت على مختلف أنواع الثقافة و العلوم ، ظهرت الأمثال المولدة ، فكانت أغنى بتجربتها لكنها أدنى بفصاحتها . و على اختلاف لهجات الناس في مختلف الأقطار الإسلامية ، نشأت اللهجات العامية التي أصبحت لغة التخاطب ، فجرت الأمثال على الألسنة باللهجات المحلية و حلت محل الأمثال العربية القديمة التي انحصر مسيرها في اللغة المقروءة و بين المثقفين .

و الأمثال العامية كثيرة لا حصر لها ، كما لا يعرف قائلوها ، فهي وليدة ما رسخ في عقول الناس من تجارب الحياة و حصيلة ما يقع لهم في كل يوم ، و هي لا تجري على ألسنة العامة فحسب ، بل هي على ألسنة الناس جميعا على اختلاف ثقافتهم و ميولهم و طرق معيشتهم و مكانتهم الاجتماعية ، فهم دائما يحسون صدى المثل في نفوسهم ، فينطقون به بلا شعور غير عابئين بمعرفة من قاله ، لأنهم يشعرون بأن حالهم يشبه حال قائله و أن صيغته تعبر أصدق تعبير عما في نفوسهم .

فالمثل سر من أسرار الإلهام الشعبي و تعبير حي عن المكنونات و الطاقات الهائلة التي يزخر بها الشعب و نجد المثل تنفيسا للشعب عن هموم ينأى بها جراء تسلط قوى غريبة على مثله و أخلاقه ، و ذلك بإطلاقه أمثالا تسخر من هذه القوى ، فالمثل الشعبي يلجأ إليه الإنسان لتعزيز رأيه ،

و لإسناد قضيته أو حجته و لتمجيد عمله أو لتجاوز محنته ، فهو يتخذ كشاهد قوي للإسناد من طرف المتعلم والأمي .

و للمثل مورد ومضرب ، أما المورد فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأول مرة و أما المضرب ، فهو الحال الذي نستخدمه فيه لمشابهته لقصة المثل .

لقد قدمت الأمثال الشعبية صيغة شـــاملة لثقافـــة الإنســـان الشـــعبي و احتوت نظرته إلى الحياة بوضوح ، والبحث في المثل العامي إنما هو بحث في حياة فئات العامة من الناس على اختلاف نشاطهم و سلوكهم في تعاملـــهم و أخلاقهم و عاداتهم ، وكيف تولدت هذه العلاقات و مداها و دورهـــا فـــي تكوين أخلاقيات الناس .

إن المثل من خلال الجزئيات الصغيرة التي يعرضها فـــي تواضـــع و هدوء يناقش هذه المواضيع و يفسرها و يعطي صورة حيـــة لطبيعتـــها ، و هي صورة صادقة كل الصدق لأنه يصدر عن فطرة نقية و طبيعة غـــير خادعة .

" فالمثل العامي يعطي صورة حية ناطقة لطبيعة الشعب بما فيها مـــن تيارات ظاهرة و خفية على حد سواء ، و هو بذلك يكون اللون الأدبي الـــذي يتمثل فيه الصدق ، و رغم ذلك فإن هذا اللون من الأدب ظـــل بعيـــدا عـــن سيطرة الحاكم ، بل أنه يحس به و لا يستطيع أن يفعل معه شيئا أو يحد مـــن سطوته ، و قد يستطيع الحاكم أن يحد من شعبية أغنية و لكنه يعجـــز عـــن مواجهة المثل لأنه يتمدد و ينتشر في المجتمع كانتشار النار في الهشيم ، فهو إذن الفن الوحيد الذي يكشف عن مختلف التيارات الاجتماعية على المســـتوى

الشعبي ، و هذا يفسر لنا أهمية المثل في مجال الدراسات الاجتماعية باعتباره وثيقة اجتماعية و أيضا في مجال الدراسات الأدبية باعتباره من ألوان الفـــن الأدبي لدى الشعب "[1].

ومن هنا يتبين لنا أن الأمثال قد استمدت مادتها من المجتمـــع ، فـــهي بذلك احتوت قيمه و معتقداته و حقائقه و قدمتها للفرد حكمة يسترشد بها فـــي حياته ، لذلك فإن المثل قد ارتبط بـــالمجتمع ارتباطـــا وثيقـــا ، و يمكـــن أن نستوضح صورة المجتمع ، قيمه ، معتقداته و مثله من خلال الأمثال و هـــذه القيم و المعتقدات و المثل هي روافد حكمة الإنسان الشعبي في الحياة .

و المثل الشعبي يغذي الفكر السائد للطبقات المكونة للمجتمع من خلال الخبرات و التجارب التي مرت بها و صاغتها في تلك العبـــارات القصـــيرة التي تلخص حدثا أو تجربة و موقف الإنسان من هذا الحدث أو هذه التجربـــة في أسلوب غير شخصي ، و إنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تبنـــى على تجربة أو خبرة مشتركة ، و على هذا تكون الأمثال إبداعا شعبيا للعقلية الشعبية التي أنتجته .

و تستقى بعض الأمثال الشعبية من أشعار مطولة منسية في عموميـــا جزئيا أو كليا مثل : " **رباعيات عبد الرحمان المجدوب** " ، و يغترف البعض الآخر من القصص و الحكايات و الأحاجي و الخرافات أو من وحي تجارب الحياة اليومية أو من الأحداث .

[1] – إبراهيم شعلان – الشعب المصري في أمثاله العامية – الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 72 ص 4

" تمسّ الأمثال الشعبية كل الميادين الحياة غير أن بعضها يتناقض مع التحولات الاجتماعية و الحق و الشرف "[1] فبعضها معاد للمرأة ، و بعضها مخالف للدين و الصواب كهذه الأمثال :

- " **المْرَا مَرَّة** "
- " **عْلَى خِيرَكْ يَا رَمْضَانْ نْصُومْ عْوَاشْرَكْ** "
- " **الكَلْبْ كَلْبْ لُوْ كَانْ سَلْسْلَتُه مَنْ ذْهَبْ** "
- " **العَبْدْ وْ مَا يَمْلَكْ لْسِيدُه** "

و في الحقيقة فإنّ عداوة النساء و الكراهية ما هي إلاّ آفات و انحرافات اجتماعية و فكرية و دينية في المجتمع الذي يقال فيه المثل .

[1] – جريدة Le soir d'Algérie العدد 356 – الجمعة و السبت 1–2 نوفمبر 1991

الفصل الثاني

البعد الاجتماعي للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان

1- الأسرة في الأمثال

2- الزواج في الأمثال

3- المرأة : مكانتها و صورتها في الأمثال

4- العمل في الأمثال

الفصل الثاني : البعد الاجتماعي للأمثال الشعبية

1- الأسرة في الأمثال

الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع ، و تتكون من أشخاص تجمع بينهم صلة الزوجية و صلة القرابة و تعتمد الأسرة في حياتها علي الترابط والتكافل و حسن المعاشرة ، و التربية الحسنة و نبذ الآفات الاجتماعية ، فالأسرة عبارة عن الزوج و الزوجة و الأبناء و هذا التركيب الأسري يعتمد في استمراريته على التوافق و التوازن بين المسؤوليات و الواجبات كما أنه مرتبط بالمجتمع الكبير الذي يوزع المسؤوليات و الواجبات طبقا لظروفه و قيمه و عاداته التي ترسبت عبر الأجيال .

و نجد أنه قد اختلفت النظرة إلى الأسرة من عصر إلى عصر عبر التاريخ ، ففي الفكر اليوناني القديم نجد النظرة المثالية للأسرة عند **أفلاطون** حيث يقرّر في كتابه " **الجمهورية** " في إطار تخطيطه لقيام المجتمع المثالي بأن الأسرة و الأطفال ملك للدولة و هكذا يلغي الأسرة و يعتبرها عاملا معرقلا لقيام الحكام بواجبهم نحو المجتمع و هكذا الشأن بالنسبة للأطفال .

أما النظرة الواقعية فنجدها عند **أرسطو** الذي يخالف رأي **أفلاطون** ، فيعتبر أن الأسرة هي الخلية الأساسية و الضرورية في المجتمع و عنده تتكون الأسرة من الآباء و الأطفال و العبيد و يرتبط كلّ عضو فيها بوظيفة معينة .

أما الإسلام فإنه ينظر إلى الأسرة نظرة تقدير و تقديس ، و بما أن الأسرة تقوم على الزواج فإن الإسلام يعتبره نصف الدين و يحضّ عليه حيث يتوجه الله تعالى إلى عباده قائلا : ﴿ **وَ أَنْكِحُوا الأَيَامَىَ مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ إِنْ يَّكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[1]

و يقول الرسول ﷺ : ﴿ **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغضّ للبصر و أحصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**﴾[2].

و الزواج في الإسلام هو واجب اجتماعي من وجهة المجتمع للمحافظة على النوع الإنساني و سكن نفساني من وجهة الفرد و سبيل مودة و رحمة بين الرجال و النساء .

حيث يقول الله تعالى :﴿ **وَ مِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3].

كما أنّ الزواج في الإسلام عهد و ميثاق بين الزوجين ، قال الله تعالى : ﴿ **وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾[4] ، فهذه الآية تدل على أن الزواج هو عهد بين الرجل و المرأة ، يلتزم كلّ منهما بموجبه واجبات نحو الآخر ولهذا التعبير " ميثاقا غليظا " قيمته في الإيحاء بمعاني الحفظ و المودة و الرحمة فهو ليس عقد تمليك كعقد البيع أو نوعا من الاسترقاق بل هو علاقة تستريح

---

[1] – سورة النور الآية 32

[2] – رواه بخاري و مسلم

[3] –سورة الروم الآية 21

[4] – سورة النساء الآية 21

فيها النفوس و تتصل بها المودة و الرحمة ، و مثلما يشجّع الإسلام الزواج فإنه يحثّ على الإنجاب حيث يقول الرسول ﷺ :

﴿تناكحوا ، تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة﴾[1]

وفي المجتمعات الإسلامية نجد أن المسؤولية الكبرى في الأسرة تقع على عاتق الرجل سواء بالنسبة للعلاقات داخل الأسرة أو خارجها و لهذا فإن من حق الرجل أن يكون صاحب الكلمة الأولى في شؤون الأسرة ، و هذه السلطة حق فرضته ظروف المجتمع و طبيعة تكوينه كما أنها أيضا مبدأ إسلامي أشار إليه القرآن الكريم في مناسبات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[2].

و هذه القوانين سجلتها الأمثال الشعبية في كثير من المناسبات ، حيث يعد المثل الشعبي من أكثر فنون التعبير الشعبية انتشارا بين الناس لسهولة تداوله و لأنه يتغلغل في نسيج العلاقات الاجتماعية حاملا الكثير من قيم المجتمع ، فقد عبّر المثل الشعبي عن موضوع الأسرة أحسن تعبير .

أما فيما يتعلق بسلطة الرجل و فرض هيبته في الأسرة فنجد المثل الذي يوصي الرجل منذ بداية الزواج بالشدّة حيث يقول :

- " **اضْرَبْ الطَارُوسَة تْخَافْ العْرُوسَة** "
- " **زَيَّرْ عَيْنِيكْ يَرْتَخْفُو عَيْنِينْ مَرْتَكْ** "

---

[1] – رواه البخاري و مسلم

[2] – سورة النساء الآية 34

أي أظهر القوة أمام زوجتك ، تخاف منك و تطيعك ، و في المقابل نجد المرأة راضية بهذا السلطان ، بل أنها تحرص على إرضاء الرجل و الاعتراف بفضله و في ذلك يقول المثل الشعبي على لسان المرأة

- " **اللِّي مَا عَنْدُوشْ الرْجَالْ يَضْرَبْ صَدْرُه بِالْحْجَارْ** "

- " **الرَجُلْ هَيْبَة ولَوْ كَانْ عْشِيبَة** "

- "**اللِّي مَا عَنْدُوشْ الرْجَالْ يْمُوتْ ذْلِيلْ** ".

فكل هذه الأمثال تبين أن الناس يحترمون المرأة التي تكون في حماية الرجل حتى و لو كان ضعيفا .

و تبين الأمثال الشعبية أن الرجل يميل إلى المرأة التي تنجب الأطفال رغبة في استمرارية الأسرة و المحافظة على اسمها حيث يقول المثل :

- "**ضَحَكْنِي فُمّْ بْلاَ اسْنَانْ** "

وحكاية المثل هي أن رجلا تزوج امرأتين ، إحداهما ولود و الأخرى عاقر و أسكنهما في حجرتين متجاورتين وكان يبيت عند كلّ منهما ليلة ، و في ليلة المرأة الولود ، كانت العاقر تسمع الضحك و اللعب في الحجرة المجاورة فتتألم و كانت ليلته معها ينام من أول الليل فسألته عن سبب ذلك فقال لها هذا المثل و فهمت العاقر أن أسلوب استمالة الرجل هو أن تخلع أسنانها ، فخلعت أسنانها و عندما جاء الزوج فتحت فمها لتضحك فبدت بشعة المنظر ، فطلقها ولم تكن تدري أنه كان يقصد أن الذي يضحكه هم الصغار الذين لم تظهر أسنانهم بعد بطفولتهم البريئة .

أما أمثال الأبناء فهي تعبّر عن علاقات متشابكة لأنها تتأثر بنوعية الابن و تربيته و موقفه من الأسرة و مستوى الأسرة اجتماعيا ، و يجدر بنا أن نشير إلى أن الأمثال الشعبية قد أكّدت على أهمية وجود الأبناء في الأسرة و ربما كان ذلك تأثرا بالقرآن الكريم الذي يشجع الإنجاب و يعتبر الأبناء زينة الحياة الدنيا .

يقول المثل الشعبي :

-" **اللّي بْلاَ وْلاَدْ كْلاَهْ الوَادْ** "

- " **الدَارْ بْلاَ صْغَارْ كِيفْ الدَنْيَا بْلاَ نُوَّارْ** "

فهذه الأمثال تبين أهمية الأبناء في حياة والدهم فهم في صغرهم يملئون البيت فرحا و مرحا لأنهم بمثابة الأزهار التي تزين البيت أما في الكبر فهم بمثابة (الذراع الأيمن) لوالديهم .

و نجد بعض الأمثال تبين أن الأبناء في طفولتهم يجلبون السعادة للبيت بينما في شبابهم يجلبون المشاكل و من بينها قولهم :

- " **الدْرَارِي لَوَّلْهُمْ فَاكِيَة وْ تَالِيهِمْ فَاكْرَة** "

و نلاحظ أن الأمثال الشعبية تحذّر كثيرا من كفالة أطفال الآخرين و تبّين أن الطفل لا يعرف في النهاية إلا والديه و من بينها ما يلي :

- " **اللّي رَبَّى وَلْدَ النَاسْ كَاللّي دَقّ المَا فَالْمَهْرَاز** "

و معنى المثل أنك إذا دققت الماء في المهراس لن يعطيك شيئا ، الشيء نفسه بالنسبة لتربية ابن الناس فانك لن تجني فائدة من ورائه .

ويقول المثل :

- " لْساسْ النـاسْ ماَ تبْنِيهْ وَ ولْدْ النـاسْ ماَ تْرَبِيهْ "

- " لْبَنْ النّاسْ ماَ يسَمَّى كسْرَة وَوَلْدْ النـاسْ ماَ يْطَوَّلْ العَشْرَة "

- " اضْرَبْ ولْدَكْ يْوَلِي لَكْ ، اضْرَبْ ولْدْ النَّاسْ يَهْرُبْ مَنَّكْ "

- " وكَّلْنِي وَشَرَّبْنِي نَعْرَفْ شْكُونْ وْلَدْنِي "

فكل هذه الأمثال تؤكد على أن الابن لا يعرف في النهاية إلا والديه .

و رغم أن الأمثال الشعبية تشير غالبا إلى تفضيل الأسرة الولد على البنت ، إلاّ أنها مع ذلك تبيّن أهمية البنت في الأسرة كقولهم :

- " اللّي عنْدْهـاَ البْنِيَـة حْفَظْهـاَ رَبِّـي وَ هِـيَ حَيَّـة وَاللّـي مـاَ عنْدْهـاَشْ البْنِيَة تَقْتُلْ رُوحْهاَ وَهِيَ حَيَّة "

أي أن الأم التي ليس لها بنت تساعدها في أعمالها و تقف إلى جانبها في السرّاء و الضرّاء لا حياة لها لأن ابنتها هي أقرب الناس إليها و هي التي تحسّ بها و تشفق عليها .

و يقول المثل :

- " مَنْ خَلَّى لْبْنَاتْ ماَ ماَتْ "

أي أن الذي ترك البنات بعد موته كأنه لم يمت .

و تؤكد الأمثال علي وجوب الاهتمام بالوالدين و رعايتهم خاصّة في شيخوختهم استجابة لقوله تعالى :

﴿ وَ قَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَ لاَ تَنْهَرْهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَحْمَةِ وَ قُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾[1]

يقول المثل تشجيعا لطاعة الوالدين :

– " الطّايَعْ وَالْدِيهْ كُلّ خَيرْ يْجِيهْ "

– " اللّي عْصَى وَالْدِيهْ وَ مَاتُوا مَا يْشُوفْ خير فِي حْيَاتُو "

أي انه يجب طاعة الوالدين و من لم يطعهما فلن يرى خيرا في حياته و يقول المثل كذلك :

– " دَعْوَة الوَالْدِينْ كَالمسْمَارْ بِاللُّوحْ "

أي أن دعوة الوالدين تستجاب من الله سواء كانت خيرا أم شرا .

و يشير المثل الشعبي إلى أهمية الشيوخ في الأسرة ، إذ أنهم يتميزون بالتعقّل في تصريف أمور الحياة و مواجهة المشاكل لأنهم جربوا الحياة و استخلصوا العبر منها فيقول المثل :

– " إيْلاَ خْطَا الكْبِيرْ مَا يَبْقَى تَدْبِيرْ "

أي أنه إذا غاب الكبير من البيت غاب معه التدبير ، و يقول المثل الشعبي مؤكدا على أهمية الشيوخ في الأسرة :

– " مَا يْحَمِّي القْدُورْ غِيرْ الجْدُورْ "

[1] – سورة الإسراء الآية 23–24

و يجب على الآباء أن يعملوا حسابا للأبناء عندما يكبرون و في هذا المعنى يقول المثل :

- " **طِيعُوا أوْلاَدْكُمْ لَتاَكُلْكُمْ النارْ** "

و انطلاقا من الأمثال الشعبية المتعلقة بالأسرة و الأبناء ، نلاحظ أن موضوع تنظيم الأسرة أو تحديد النسل لا وجود له في الثقافة الشعبية لأن الأمثال الشعبية عموما تشجع على الإنجاب و قد يعود هذا كما أشرت سابقا إلى التأثر بالدين الإسلامي كما أن قديما كانت الأسرة تسعى إلى كثرة الأبناء و خاصة الأولاد لأنهم يساعدون أسرهم في العمل و الحصول على لقمة العيش ، مع ذلك ففي عصرنا هذا نجد أنّ من الناس من يتبرم و يضجر من كثرة الأبناء و قد عبر المثل الشعبي عن ذلك بقوله :

- " **البَرّْ و قَلَّةْ ماَ يْغَزّْ** "

و ربما يعود هذا إلى الأزمة الاقتصادية التي انعكست على الحياة الاجتماعية فجعلت الناس يفضلون القليل من الأبناء بدل الكثير .

و تربية الأولاد عند العامة حولها كلام كثير و أمثال مستفيضة ، فللأم أثر كبير في تربية الأبناء ، ألم يقل حافظ إبراهيم أنها مدرسة ؟ وعند العامّة أيضا إذا صلحت الأم صلحت الأسرة لأن الأم مضرب المثل في الحنان و لديها من العاطفة ما يغمر أولادها جميعا و لو كانوا كثيرين .

و لئن كانت الأم تحب أولادها مهما فعلوا و مهما كانت تصرفاتهم وإذا كان المثل الشعبي يقول :

- " **كُلّْ خَنْفُوسْ عَنْدْ أمَّهْ غْزَالْ** "

إلا أن على الأم ألاّ تفرط في دلال أولادها لكي لا تفسدهم بحنانها الزائد لأن الشيء إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضدّه ، ففي هذا المجال يقول المثل :

- " **وَكَّلْ وْشَرَّبْ وَاضْرَبْ** "

- " **خُذْ الرَّايْ اللّي يْبكِّيكْ وْ يَبْكِي عْلِيكْ ، مَشِي الرَّايْ اللّي يْضَحْكَّكْ وْ يَضْحَكْ عْلِيكْ** "

و يظهر أثر تربية الأم على البنت أكثر من الولد إذ يقول المثل الشعبي :

- "**اقْلَبْ القَدْرَة عْلَى فُمْهَا ، البَنْتْ تَشْبَهْ أُمْهَا** "

و لا ننسى في الحديث عن تربية الأولاد أن للأب دورا هاما و فعّالا في ذلك أيضا ، فعليه أن يشارك الأم في مسؤوليتها و أن يعنى بتربيتهم التربية الصالحة ، و يقول المثل في مجال العناية بالأولاد :

- " **اضْرَبْ الكْبِيرْ ، يَتْعَلَّمْ الصْغِيرْ** "

و لا عليه إن قسا أحيانا في تربيته فالمثل الشعبي يقول :

- " **الزْيَّارْ مْلِيحْ** "

- " **الضَّرْبْ مَا يَقْتَلْ** "

و غالبا ما ينشأ الولد على أخلاق أبيه و طبائعه فيقولون :

- " **كِالْوَلْدْ كِبَابَاهْ** "

و قد يكون الأب صالحا و الولد عاقا و العكس صحيح فتقول العامة :

- " **النَّارْ تْجِيبْ الرْمَادْ** "

و منهم من يربط بين نشأة الولد و أحد أقربائه فيقولون :

- " **البَنْتْ لْعَمَّتْهاَ وَ الوَلْدْ لْخَالُه** "

و عن معانات الأم في تربية الأبناء تقول العامة على لسان الأتان :

- " **مَنْ عاَمْ عَبْدْ الوَافِي ، ماَ كْلِيتْ عَلْفِي وَافِي ماَ شْرَبْتْ ماَيَاَ صاَفِي** "

و من أمثال الأبناء :

- " **صَنْعَةْ بوُكْ ، لاَ يَغْلْبُوكْ** "

- " **امْشِي مَعَ نَدَّكْ وَ الْبَسْ قَدَّكْ وَ تَبَّعْ طْرِيقْ باَكْ وْ جَدَّكْ** "

- " **اللِي يَتْبَعْ طْرِيقْ بُوهْ ماَ يْعاَيْرُوهْ** "

أما أمثال الروابط الأخوية فهي تحمل معنى التعاطف و الرحمة و تقديس الأخوة و تقديمها على كافة أشكال الروابط الاجتماعية الأخرى فتقول الأمثال الشعبية :

- " **خُوكْ خُوكْ وْ ابْنْ النّاَسْ عْدُوكْ** "

- " **خُوكْ خُوكْ ياَ لُوكَانْ عْدُوكْ** "

- " **خُوكْ خُوكْ لاَ يْغَرَّكْ صَاحْبَكْ** "

- " الكَلْبْ ماَ يْفُوتْ خُوهْ "

- " خُوكِ مْنَ أمُكْ كِي الْعَسَلْ فِي فُمَّكْ وَ خُوكْ مَنْ بُوكْ كَـالْعْبِيدْ يْلاَ نَاسْبُوكْ "

و هكذا نستطيع أن نجد الأمثال التي تعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية الأسرية بكل ما فيها من عناصر إيجابية و سلبية و الأمثال هنا تسجل و ترصد و تساعد في الكشف عن العوامل التي تلعب دورا في تشكيل العلاقات الأسرية و هي علاقات تنبع من طبيعة المجتمع الإسلامي و تخضع لظروفه .

و هذه السطور لا تعني أنها دراسة كاملة للأسرة الجزائرية ، ذلك أن الأمثال ترتبط بموضوع معين هو الأسرة و هذا الموضوع أكبر من أن تستوعبه عدة صفحات ، فالأمثال رغم أنها تحمل دلالات واضحة على طبيعة الموضوع و تتميز بالصدق إلى حد كبير ، إلاّ أنها لا تنهض دليلا علميا على حقيقة المجتمع و خاصة الأسرة التي أصبحت محور دراسات كثيرة و متعددة لم تعد تتوقف عند حدود الآراء النظرية و لكنها خضعت في الدراسات الحديثة إلى التجارب العلمية و استخدام العمليات الرياضية . و دور الأمثال الشعبية هنا هو تأكيد موقف أو رصد ظاهرة لأنها تستمد مكوناتها من البيئة و تصب أفكارها في نفس البيئة ، مع ذلك فإني قد حاولت في هذه الدراسة أن ألقي الضوء على بعض القضايا أو أجيب على بعض التساؤلات المطروحة .

2- الزواج في الأمثال

يمس الزواج الأسرة و يتصل بها أوثق الصلة و هو سنّة الله في خلقه ، يسعى إليه الفرد في سبيل بقاء النوع الإنساني و ديمومة وجوده في هذه الحياة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، و من خلال تتبعي للأمثال الشعبية وجدت أنها تسير مع الزواج من البداية إلى النهاية مرورا بكثير من الظروف و الأحوال فيه .

فكثير من الناس من لا يدلي بنصيحة و لا يشرح مستغلقا إلاّ و يدعّمه بالمثل المناسب ليوضح ما يريد و يؤيد ما يقول و خاصّة الطاعنين في السن.

إن الزواج ظاهرة اجتماعية و طبيعية ، تختلف أوضاعه من مجتمع إلى آخر ، و قد خضع لتطورات مختلفة عبر تطور الإنسان و اختلاف المناطق و المجتمعات و سأحاول أن أتتبع بعض مراحل الزواج في تلمسان من خلال الأمثال الشعبية .

نظرا لأهمية الزواج في تكوين الأسرة ، يجب التفكير فيه كثيرا قبل الإقدام عليه ، فقبل الخطبة يجب البحث عن الزوجة المناسبة ، و في هذا يقول المثل الشعبي :

- " **زْوَاجْ لَبْدَا فَتَّشْلُوا عاَمْ** "

و لابد من اختيار شريكة الحياة ، و في هذا الاختيار هناك من يفضل الزواج من الأقارب فيقول المثل :

- " **اللّي تْزَوَّجْ بَنْتْ عَمُّو مَثْلْ اللّي عَيَّدْ مَنْ غَنْمُو**"

أي أن الذي يتزوج من ابنة عمه أو إحدى قريباته مثل الذي ضحى في العيد من غنمه أي أنه لم يخسر شيئا .

أما أغلبية الناس فيفضلون البعد عن الأقارب حفظا للصحة و سلامة المواليد و ابتعادا عن المشاكل إذ يقول المثل :

- "**دَمَّكْ هُوَ هَمَّكْ** "

- "**الأَقَارِبْ عَقَارِبْ** "

فكأنهم ينظرون إلى مستقبل الأيّام و ما قد تسبب صلة الزواج من متاعب و مواقف حرجة .

كما نجد حديثين شريفين يدعمان وجهة نظر الأمثال الشعبية في تجنب الزواج بالأقارب إذ يقول النبي ﷺ : ﴿**اغتربوا و لا تضووا**﴾ كما قال أيضا ﷺ : ﴿ **تجنبوا الزواج بالأقارب ، فإن العرق دسّاس**﴾

و هذا الحديث بدوره يوافق ما توصلت إليه الدراسات العلمية الحديثة التي أثبتت أن الزواج بالأقارب قد ينتج عنه أطفالا غير طبيعيين .

و الأمر طبيعي أن يبحث الإنسان عن فتاة تناسبه في العمر و الأخلاق و الثقافة و المستوى الاجتماعي لذلك تقول العامة :

- " **ذَرِّيَةْ الشِّيبْ يكُلْهَا الذِيبْ** "

فهذا المثل يحذر الشيوخ من الزواج بالفتيات الصغيرات لأنه إذا وقع ، فإن الأطفال عندما يكبرون و لا يجدون والدهم يواجهون المشاكل .

و يفضل أن تكون الخطيبة فتاة بكرا لا أرملة أو مطلقة فتقول العامة :

- " **مَاتَاخُدْشْ المْرَا الهَجَّالَة**[1] **رَاهِي دِّيرْ فِيكْ حالَة** "

- " **خُذْ البِكْرْ لُوْ كَانْ بارَتْ** "

و نجد بعض الأمثال الشعبية تنبّه الرجال المقبلين على الزواج بأن لا يختاروا الزوجة على أساس الجمال و إنما على أساس الأخلاق ، فالمرأة قد تكون جميلة و لكن جمالها قد يخفي مساوئها مثل شجرة الدفلة التي تجلب أنظار الناس إلى جمال أزهارها لكن مذاقها مر جدا ، و في هذا المعنى نجد المثل التالي :

- " **لاَ يَعجْبَكْ نُوارْ الدفْلَى فِي الوَادْ دَايرْ طْلاَيلْ ، وَ لاَ يَعجْبَكْ زِينْ الطَفْلَة حتَى تْشُوفْ الفْعَايلْ** "

و هذا المثل يتفق مع الحديث الشريف الذي يقول : ﴿ **تنكح المرأة لمالها و لجمالها و لحسبها و لدينها ، فاختر ذات الدين تربت يداك**﴾ و هذا دليل على تشبع الأوساط الشعبية بالثقافة الإسلامية .

و يستحسن أن تكون الفتاة ذات أصل طيب ليضمن للزواج حياة سعيدة فيقول المثل :

- " **يْلاَ حَبِّيتْ تَبْنِ لْساسْ ، عَبيِ**[2] **بَنْتْ النَاسْ** "

- " **الطْرِيقْ وَ لَوْ دَارَتْ وَ بَنْتْ الأَصَلْ وَ لَوْ بارَتْ** "

---

[1] -الهجّالة : الأرملة

[2] - عبيّ : خذْ

و نجد مثلا آخر يدعوا إلى حسن اختيار الزوجة حيث يقول :

- " **ماَ تَدِّيشْ الْمرَا المَعْفُونَة تَتْعاَوَنْ هِيَّ وَ الزْمَانْ عْلِيكْ** "

أي لا تتزوج بالمرأة الوسخة التي لا تحسن التدبير المنزلي لأنها تتعاون مع مشاكل الدهر عليك .

و يحذر المثل من الزواج بالمرأة الغنية أو المدللة حيث يقول :

- " **إِذاَ تْصاَحَبْ صاَحَبْ اللِّي أَكْبَرْ مَنَّكْ وَ إِذاَ تْناَسَبْ نَاَسَبْ اللِّي قَلْ مَنَّكْ** "

و من الأفضل أن يبحث الخاطب عن الحماة الجيدة ، إذ أن البنت سر أمها ، فغالبا ما تكون صورة طبق الأصل عنها ، ثم إن الحماة الصالحة أضمن للسعادة الزوجية إذ لابد من الخلافات في مستقبل الأيام و الأم هي التي تستطيع تهدئة ابنتها و توجيهها إلى السلوك الصحيح ، و على الأقل ريثما يتم توافق الزوجين في الطباع و الأخلاق فللحماة دور كبير في إصلاح الأمور أو زيادتها سوءا ، لذلك تقول الأمثال الشعبية :

- " **شُوفْ لْحاَلَتْهاَ وْ اخْطُبْ بَنْتْهاَ** "

- " **شُوفْ بِيتْهاَ وْخُذْ بَنْتْهاَ** "

- " **اقْلَبْ القَدْرَة عَلَى فَمْهاَ ، البَنْتْ تَشْبَهْ أُمْهاَ** ".

و الأمثال الشعبية تعترف بالحب و تؤكد على ضرورة رضا الزوج بالزوجة و رضا الزوجة بالزوج أثناء الخطبة ، فبالنسبة للحب تقول الأمثال الشعبية :

- " الحُبْ الأَوَّلْ ماَ يَتْحَوَّلْ "

- " اللّي حَبْ الزِينْ يَصْبَرْ لَعْذَابُه "

- " اللّي حَبْ العْسَلْ يَصْبَرْ عْلَى قَرْصْ النْحَلْ "

- " حَجْرَة مَنْ يَدْ الحْبِيبْ تَفَّاحَة " .

أما بالنسبة للرضا الزوج فيقول المثل :

- " الزْوَاجْ بْلاَ رْضاَ كَالْحَرْثْ بْلاَ رْوَاَ "

هذا المثل يشبه الزواج الذي ينقصه رضا الزوجين بالحرث الذي ينقصه الريّ أي الماء ، فالزواج إذن في هذه الحالة لا ثمار تجنى من ورائه ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تعمق الفكر الشعبي في فهم العلاقات الزوجية التي يعتبر الرضا من أهم أسسها كما يقول المثل :

- " كُلْ شِي بَالسِيفْ غِيْر الحُبْ اللّي بَالْكِيفْ "

أي أنك تستطيع أن تجبر الإنسان على فعل أي شيء ما عاد الحب لأنه عاطفة إنسانية تنبع من داخل الإنسان و أعماقه و لا تفرض عليه من الخارج .

و من الأمثال الشعبية التي تبين أن العزوبية أحسن من الزواج الفاشل ما يلي :

- " قْعَادْ بُوهاَ وْ لاَ زْوَاجْ الفْضَايَحْ "

- " قْعَادْ السْلاَمَة وْ لاَ زْوَاجْ النْدَامَة "

- " **تَهْجَالِي وْ لاَ زْوَاجْ الجِيلاَلِي**"

- " **مَا أحْلَى عْتُوقَيْتِي لَوْ كَانْ مَا كْلاَمْ النَاسْ** "

هذه الأمثال تبين أنه من الأحسن للفتاة أن تبقى في بيت والديها على أن تتزوج زواجا تعيش من خلاله حياة تعيسة ملؤها المشاكل و الاضطرابات النفسية .

و بعد الزواج لابد من محبة الزوجين أحدهما للآخر ، فالمحبة أمر هام لسعادتهما و لاستمرار زواجهما و إن كانت تخفّ أحيانا مع مرور الأيام فيقال :

- " **مَزْيَنْ النْسَا بْضَحْكَاتْ لَوْ كَانْ فِيهَا يْدُومُوا** "

على أن بعض الخلافات لابد أن تقوم بينهما و من الطبيعي أن يوافق الزوج أهله و توافق الزوجة أهلها و في هذا تقول العامة :

- " **شْكُونْ اللّي يْجِي مْعَ العَرُوسَة ، أُمْهَا وْ لاَّ خَالَتْهَا** "

و قد يظلم الزوج زوجته فيقولون :

- " **مَحْقُورْتِي هِيَ مَرْتِي وَيْلاَ كَذَّبْتُونِي نُّوظَلْهَا**[1]"

كما قد تشتد الخلافات بين الزوجين و قد تصل الأمور إلى حدّ الطلاق مع أنه أبغض الحلال إلى الله كما ورد في حديث شريف ، فيقول المثل الشعبي :

---

[1] – نّوظلها : أقوم لضربها

- " مْنَاسْبَةْ التْرَابْ وَ لاَ مْنَاسْبَةْ الكْلاَبْ "

- " كِي تْطَلَّقْهَا مَا تْوَرِّلْهَاشْ بَابْ دَارْهَا "

مع ذلك أحيانا قد تتحمل الزوجة الشيء الكثير من ضيق العيش و نكد الحياة مع الزوج الذي باتت تكرهه لألاّ تصل إلى الطلاق فيخرّب بيتها و يحرم أولادها من سعادة العيش و نعمة اجتماع الأم و الأب لتربيتهم لذلك تقول العامة :

- " كُلْ النَاسْ خَمَّارَة ، غِيرْ اللِّي مْرَاتِو خَبَّارَة "

و معنى المثل أن كثيرا من الرجال يشربون الخمر ، إلا أن من النساء من تستر زوجها من منهم من تفضح سرّه مع الجميع . و في الزواج نجد تلك العلاقة المهمة بين الحماة و الكنّة ، فلقد أولعت إحداهما بالأخرى منذ القدم حيث تقع غالبا الخلافات بينهما فيقول المثل الشعبي :

- " الخَتْنَة مَا تَقْبَلْ الكَنَّة وَ إبْلِيسْ مَا يَدْخُلْ الجَنَّة "

و معنى المثل أن الحماة لا تقبل زوجة ابنها و لا ترضى عنها مهما فعلت مثل إبليس الذي لا يدخل الجنة أبدا ، مع أنه يجب على الحماة أن تصبر على كنّتها حين تخطئ و أن تأخذها باللين و الرفق و تدربها على أمور البيت بالرقّة و حسن المعاملة و قد تلجأ إلى التلميح و عندها يقولون :

- " الهَدْرَة عْلِيَ وَ المَعْنَى عْلَى جَارْتِي ".

و ما أسعد الزوجين حين يعيشان في بعد عن هذا الخلاق القديم المستحكم بين الحماة و الكنّة و ذلك عن طريق اتخاذ سكن مستقل .

و تشجع الأمثال الشعبية المرأة على الصبر في حياتها الزوجية فتقول العامة

- " **الصَّابَرْ يْنَالْ** "

- " **مَا يَقَّعْدُوا عْلَى أَطْبَاقْ التَمَرْ حَتَّى يَقَّعْدُوا عْلَىَ أَطْبَاقْ الجْمَرْ** "

أي أن المشاكل قد تكون في بداية الزواج ، و لكن سرعان ما تحلّ و تتحول إلى سعادة بفضل الصبر ، فيعود الزوجان إلى العيش معا مبتعدين عن أسباب الخلافات ، ساعيين إلى أن تكون حياتهما مع أولادهما سعيدة ، و قد تصبح سعيدة جدا ، فيلتفتان إلى رعاية الأبناء الذين منهم من يبلغ سنّ الزواج و يسعى الوالدان إلى تزويجه ليصبحا جدّين في مستقبل الأيام و يدور الزمان دورته ، فهذه هي الدنيا و تلك هي حالها لا تدوم على حال و صدق من قال :

رأيت الدهر دولابا يدور ❁ فلا حزن يدوم و لا سرور[1]

[1] – مجلة التراث الشعبي – دار الجاحظ للنشر – وزارة الثقافة و الإعلام – العددان الثالث و الرابع – السنة الثانية عشر 1981 ص 88

3- المرأة ، صورتها و مكانتها في الأمثال الشعبية

لقد عانت المرأة في العصور القديمة من نظرة المجتمع السلبية إليها ، فالأثينيون – أكثر الأمم القديمة حضارة – جعلوا المرأة من سقط المتاع ، فكانت تباع و تشترى في الأسواق و قد سموها رجسا من عمل الشيطان و حرّموا عليها كل شيء سوى تدبير البيت و تربية الأطفال .

و في الفكر اليوناني القديم نجد **أرسطو** في القرن الثالث قبل الميلاد يقرر أن الأسرة ضرورية للمجتمع و أنها الخلية الأساسية فيه ، إلا أنه مع ذلك – و فيما يخص مكانة المرأة بالقياس إلى الرجل – اعتبرها أقل منه عقلا و كفاية و أضعف بنية و أحط مرتبة ، تعمل بإشرافه في المنزل و تعنى بتربية الأبناء "[1]

و جاء في شرائع الهند أن الوباء و الموت و الجحيم و السم و الأفاعي و النار خير من المرأة ، و لم تكن التوراة أكثر رحمة بالمرأة من شرائع الهند ، جاء في سفر الجامعة : درت أنا و قلبي لأعلم و لأبحث و لأطلب حكمة و عقلا و لأعرف الشرّ أنه جهالة و الحماقة أنها جنون ، فوجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك و قلبها أشراك و يداها قيود ... رجلا بين ألف وجدت ، أما المرأة فبين كل أولئك لم أجد "

أما في فرنسا فقد عقد سنة 586 م اجتماع في بعض ولاياتها دار فيه البحث عن المرأة : أتعد إنسانا أم غير إنسان ؟ و كان ختام البحث أن قرّر المجمع أنّ المرأة إنسان و لكنها مخلوقة لخدمة الرجل .

---

[1] – تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية – الطبعة الرابعة – دار صادر بيروت 1965 – ص : 72

أما في إنجلترا فقد أصدر الملك **هنري الثامن** أمرا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء ، كما أن النساء كنّ طبقا للقانون الإنجليزي العام حوالي سنة 1850 م غير معدودات من المواطنين ، و لم يكن لهنّ حقوق شخصية و لا حق لهنّ في تملك ملابسهنّ و لا في الأموال التي يكسبنها بعرق الجبين .

أما في العصر الحديث فإننا نجد الفيلسوف الألماني المشهور **نيتشه** (1844-1900) و هو صاحب الكلمة المشهورة : " أذاهب أنت إلى المرأة ؟ فلا تنس إذن سوطك "[1] ، فهو يؤمن أن المرأة بطبيعتها مخلوق ناقص ، و فيها من العيوب الكامنة ما يحتم علينا ألاّ نعهد إليها بأي عمل جدّي ، فالمرأة تهتم بالأشخاص ، لا بالأشياء ، فمن الخطر أن نعهد إليها بالأمور الهامة كالسياسة مثلا ... فهي محافظة بطبيعتها تحترم السلطة السائدة ، و أقصى ما يمكن أن تحتلّ المرأة من المكانة ، هي مكانة الأشياء المملوكة فحسب .

و يرى **نيتشه** أنّ " المساواة بين الرجال و النساء مستحيلة لأن بينهما حربا سجالا أبدية ، و لن يتحقق السلام بينهما إلاّ بانتصار أحدهما و فرض سيادته على الآخر ، و من الخطر مساواة الرجل بالمرأة لأنها لن تسعد بذلك و تؤثر الخضوع إلى الرجل ، هذا إذا كان الرجل رجلا لأن سعادتها و كمالها تكمنان في الأمومة ، إن الرجل بالنسبة إلى المرأة وسيلة و الغاية هي الطفل دائما و لكن ما هي المرأة بالنسبة إلى الرجل ؟ إنها لعبة خطيرة ، يجب إعداد الرجال للحرب و النساء للترفيه عن المحاربين ، و كل

[1] – نوابغ الفكر الغربي – د. فؤاد زكريا – دار المعارف – ص : 122

ما عدا ذلك فسخافة و مع ذلك فإن المرأة الكاملة أسمى إنسانية من الرجل الكامل ، و لكن هذه المرأة السامية في الإنسانية أمر نادر الوقوع "[1]

أما في بلاد العرب و قبل بعثه محمد ﷺ فقد كانت المرأة ممتهنة في كثير من أحوالها ، و لما جاء الإسلام حرّرها مما وقع عليها من حيف و ظلم و رفعها إلى مكانة عالية لم تصل إليها في آخر تطورات المدنية .

لقد حرّم الإسلام وأد البنات و بذلك أعطى المرأة حق الحياة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَ لاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً**﴾ [2]

و قد جاء الإسلام مقررا أن للنساء ثواب أعمالهن الصالحة كالرجال . قال الله تعالى : ﴿ **وَ مَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُومِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَ لاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾[3]

كما أن الإسلام أمر المرأة بتكاليف العقيدة و فضائل الأخلاق كما أمر الرجل . قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ المُسْلِمِينَ وَ المُسْلِمَاتِ وَ المُؤْمِنِينَ وَ المُؤْمِنَاتِ وَ القَانِتِينَ وَ القَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الخَاشِعِينَ وَ الخَاشِعَاتِ وَ المتَصَدِّقِينَ وَ المُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً**﴾[4]

---

[1] – قصّة الفلسفة – ول ديورانت – الطبعة الأولى – مؤسسة المعارف بيروت ص 542 .

[2] – سورة الإسراء – الآية 31

[3] – سورة النساء – الآية 124

[4] – سورة الأحزاب – الآية 35

كما أن الإسلام ساوى بين المرأة و الرجل في حق المبايعة ، فقد كان النبي ﷺ يبايع الرجال على السمع و الطاعة و القيام بحدود الشريعة ، و كذلك بايع النساء كما أمره الله تعالى .

و بينما نرى بعض الشعوب تحتقر المرأة ، فلا تعتبرها أهلا للاشتراك مع الرجال في النشاط الاجتماعي ، جاء الإسلام فأثبت أنهنّ و الرجال سواء ، قال تعالى : ﴿ **وَ المُومِنُونَ وَ المُومِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَ يُوتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

ففي هذه الآية إثبات ولاية المؤمنين و المؤمنات بعضهم لبعض ، و الولاية عبارة عن تعاونهم و تناصرهم لما فيه خيرهم ، كما أن الآية أثبتت للمرأة حق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و القيام بالأعمال الصالحة و هذا برهان واضح في إعطاء المرأة حقها من النشاط الاجتماعي .

كانت العرب لا تورّث النساء و لا الصبيان من أبناء الميت ، فشرّع الإسلام توريث المرأة و بيّن حقوقها في الإرث زوجا و أمّا و أختا قال الله تعالى : ﴿ **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَ الأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَ الأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً**﴾[2] .

---

[1] – سورة التوبة – الآية 71

[2] – سورة النساء – الآية 7

و مع أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة إلاّ أننا نجد أن الفلاسفة المسلمين قد اختلفت نظرتهم إليها ، **فأبو حامد الغزالي** (1058-1111) مثلا ، رأيه في المرأة كان متأثرا بالبيئة التي نشأ فيها ، حيث دعا إلى تقييد حريتها ، و عدّها آلة بيد الرجل ، تثير الشفقة لضعفها و غلبة الفساد على طبيعتها و استند إلى الحديث الذي يقول : ﴿**المرأة الصالحة كالغراب الأعصم بين مائة غراب**﴾.

و حث الرجل على الرفق بها لأنها مخلوق ضعيف ، كما فرض عليها التقيد التام بإرادة زوجها ... "[1]

بينما نجد المرأة في نظر **ابن رشد** لا تختلف عن الرجل في الطبيعة و القوى ، و إن كانت أقل منه درجة في بعض الأعمال ، فهي تتفوق عليه في بعضها الآخر ، و لا سيما في المجال الفني مثل الموسيقى و غيرها .

و المجتمع الإسلامي في نظره لا ينال الرقي إلاّ إذا أطلق جناحي المرأة و تخلّص من القيود التي تضغط على حريتها ، و هنّ يشاركن الرجال في الدفاع عن الوطن ، و قد تمثل بنساء إفريقيا و بالبدويات ، و رأى الحيوانات لا تفرق بين ذكورها و إناثها ، و لا تحتقر الأنثى ، فقال إنّ إناث الكلاب مثلا يعهد إليها كالذكور في الحراسة ، فهل يكون الإنسان أحط من الحيوان فيحتقر أنثاه ؟ و دعا ابن رشد إلى تعليم المرأة لأنها تملك من الكفاية الطبيعية لتحصيل العلوم و الفلسفة ما يملك الرجل ، و حمل على الرجل و أثرته لأنه يحرم المرأة حقوقها ، و بيّن ما يلحق المجتمع الإسلامي من ضرر إذا بقيت المرأة على ما هي عليه من انحطاط لأن النساء أكثر عدد من

[1] – تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية – الطبعة الرابعة – دار صادر – بيروت 1965 – ص 545

الرجال الذين تحصدهم الحرب و مصائبها ، و قد يبلغن ثلثي مجموع السكان ، و هنّ يعشن عالة على المجتمع ، فكأنهنّ أعضاء فاسدة ، أو كأنهنّ نبات لا عقل له لأن الاستعباد أمات فيهنّ كلّ طموح و همّة . لقد انفرد ابن رشد بهذا الرأي الجريء من بين جميع الفلاسفة المسلمين ، و لم يتردد صداه في البلاد العربية إلاّ في بداية القرن التاسع عشر .[1]

أما الأدب الشعبي ، فقد اهتمّ بالمرأة اهتماما كبيرا حيث نجدها في الحكايات الشعبية و الشعر الشعبي عامّة و الأمثال الشعبية خاصّة ، و من خلال دراستي للأمثال التي تتحدث عن المرأة وجدت أنها في مجملها تعطي صورة سلبية عن المرأة حيث تنعتها بمساوئ عدّة ، فالأمثال غالبا تهدف إلى تحذير الناس و تنبيههم إلى ضرورة عدم الانخداع بالمرأة التي قد تظهر الجمال و الليونة و العواطف لكن تخفي المكر و الحيلة و الغدر ، و تظهر هذه الصورة من خلال المثل التالي :

- " **سُوقْ النْسا سُوقْ مَطْيارْ يا الدَّاخَلْ رَدّ بالَكْ يْوَرِّيوْلَكْ مْنَ الرْبَحْ قَنْطارْ وْيَدِّيوْلَكْ رَاسَ مالَكْ** " .

و معنى المثل أن سوق النسوة سوق نحس ، احترس يا داخلها ، إنهن يظهرن لك الربح الوفير غير أنهن يسلبنك رأس مالك ، أي أنك إذا تعاملت مع النساء فكن ذكيا و حذرا لأنك قد تخسر كلّ ما تملكه .

[1] – عبده الشمالي – تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية و آثار رجالها – دار صادر بيروت 1965 – ط : الرابعة – ص 688

و يقول مثل أخر:

- " **بَهْتْ[1] النْسَا بَهْتِينْ ، مَنْ بَهْتْهُمْ جِيتْ هَارَبْ ، يَتْحَزْمُوا بِالْفَاعْ ، وَ يَتْخَلّلُوا[2] بَالْعْقَارَبْ** ".

هذا المثل يحذر من كيد النساء ويبين خطورتهنّ إلى درجة تشبيههنّ بالأفاعي و العقارب التي ترمز إلى الشرّ و الغدر .

و يقول المثل الشعبي أيضا عن المرأة :

- " **النْسَا كِيدْهُمْ مَايَتّنْسَى** "

أي أنه يجب على الرجل أن لا يغفل عن كيد النساء .

و يقول كذلك:

- " **مَا يْفَسّدْ بِينْ الأَحْبَابْ غِيرْ النْسَا وَالدْرَاهَمْ** "

أي أن المرأة هي سبب المشاكل التي تفرق بين الأهل والأحبّة ، فهي في ذلك مثل الدراهم .

أما المثل التالي :

- " **يَا مَزْيَنْ النْسَا بْضَحْكَاتْ لَوْ كَانْ فِيهَا يْدُومُوا** "

فيضرب للدلالة على سرعة تغير النساء و تقلب أحوالهنّ ، فالرجل يتمنى مداومة النساء على الضحك و لكن المكر غالب عليهنّ .

---

[1] - البهت : الكيد

[2] -يتخللوا : يلبسن خلخالا

و دائما في إطار التحذير من المرأة يقول المثل :

- " **إِذَا دْخَلْتْ البِيرْ طَوَّلْ حْبَالَكْ وَ إِذَا دْخَلْتْ التِجَارَة طَوَّلْ بَالَكْ وَ إِذَا دْخَلْتْ فِي سُوقْ النْسَا رَدّْ بَالَكْ** "

و معنى المثل أنك إذا نزلت داخل بئر ، فلا بدّ أن تكون حبالك طويلة حتّى تتمكّن من الخروج ، و إذا دخلت في تجارة فيجب أن تتصف بالصبر ، أما إذا تعاملت مع المرأة فيجب أن تتصف بالحذر الشديد .

و يقول المثل الشعبي أيضا :

- " **مَا فِي الشْتَا رِيحْ دَافِي وْ مَا فِي النْسَا عَهْدْ وَافِي** "

أي أن المرأة لا عهد لها و لا وفاء .

و نجد المثل الشعبي يقارن بين المرأة و الكلب ، فيضعهما في نفس الدرجة حيث يقول :

- " **اللّي عَيْنُو فِي العْذَابْ ، يْخَلَّطْ فِي النْسَا وَالكْلَاب** "

و معنى المثل أن الذي يريد العذاب يتعامل بغباء مع النساء و الكلاب.

تساءلت بعد جمع هذه الأمثال عن الأسباب التي جعلت المجتمع ينظر إلى المرأة هذه النظرة السلبية القبيحة و ينعتها بكل هذه المساوئ ، و بعد دراسة تحليلية طويلة و نظرة عميقة إلى الموضوع وجدت أنها قد تعود إلى الأسباب التالية:

- **الأسباب الاجتماعية:**

لقد نظر المجتمع إلى المرأة هذه النظرة السلبية بسبب العادة حيث تسود في المجتمع هيمنة الرجل على المرأة ، و يؤكد هذه الفكرة الدكتور" **إبراهيم أحمد شعلان** " الذي يقول : " بأن في عصور الانحطاط سيطر الأسلوب القهري على العلاقات الزوجية و انتشر الشك المتبادل و أدى ذلك إلى التفكك و التخلف و أصبحت المرأة سجينة المنزل و تقلص دورها الإيجابي في المجتمع ولم يكن سجن المرأة في منتصف القرن الثامن عشر مردّه إلى غيرة الرجل و لكنّه يعود إلى العادة "[1]

و من الأمثال التي تبين ما وصلت إليه الحال بين الرجل و المرأة ما يلي :

- **"إِذَا حَلْفُوا فِيكْ الرْجَالْ بَاتْ رَاقَدْ ، وَ إِذَا حَلْفُوا فِيكْ النْسَا بَاتْ قَاعَدْ ".**
- **" بَالَكْ تَنْسَى وْتَامَنْ النْسَا "**

أي إيّاك أن تنسى و تصدق النساء .

[1] – مجلة التراث الشعبي – دار الجاحظ للنشر – وزارة الثقافة و الإعلام – العددان السادس و السابع – السنة الثانية عشر –حزيران – تموز 1981 – ص 105

كما نلاحظ تأثر مثقفي العصر الوسيط بشخصية **عبد الرحمن المجذوب**[1] التي ذاعت في أنحاء المغرب العربي كلّه حتّى تحولت إلى شخصية أسطورية ، و قد خلّف لنا هذا الشيخ كتيبا صغيرا في موضوع الأمثال ، ألفه على شكل رباعيات تعبّر عن رأيه في الحياة و الناس ، و قد ذاعت شهرة هذا الكتيب و مازالت رباعياته تسير بين الناس حتى وقتنا هذا .

و يحتوي الكتاب على 125 رباعية منها 14 رباعية عن المرأة و مكرها و ألاعيبها ، و يبدو من السياق العام أن رباعياته عن المرأة تتفق مع الخط الفكري الاجتماعي السائد في العصر الوسيط ، كما أن المرارة التي تشوب حديثه عن المرأة تؤكد أنه كان يعاني من سوء معاملة زوجته له ، و أن ما كان يسجّله في هذه الرباعيات إنما يعبّر عن ظروفه الأسرية الخاصّة حسب رأي الدكتور **إبراهيم أحمد شعلان** "[2]

---

[1] – عبد الرحمان المجدوب بن عيار بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الدكالي المتوفى سنة 976 هـ ، كان صوفيا زهد في الدنيا و ساح في البلاد للوعظ و الإرشاد ، و الناس هنا ينقسمون فريقين : فريق يرى أنه شخصية حقيقية و فريق آخر يرى أنه شخصية أسطورية له كثير من الكرمات و ينسبون إليه بعض المعجزات .

[2] –مجلة التراث الشعبي – دار الجاحظ للنشر – وزارة الثقافة و الإعلام – العددان السادس و السابع –السنة 12 حزيران تموز 1981 ص 106 .

ب- الأسباب الدينية :

قد تعود النظرة السلبية إلى المرأة في الأمثال الشعبية إلى سوء توظيف لبعض الآيات الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾[1]. و لذلك جاءت أغلب الأمثال الشعبية التي تتحدث عن النساء تحذر الرجال من المرأة و تعتبرها خطيرة خطورة الأفاعي و العقارب ، و هذا التأثر بالآية الكريمة يدل على وجود الثقافة الإسلامية في الأوساط الشعبية و حتى الأمّية منها ، فمجرد معرفتهم لقصة يوسف عليه السلام و ما فعلته معه زوليخة زوجة عزيز مصر من مكر و خداع جعلتهم ينظرون إلى المرأة هذه النظرة القبيحة و يرددون أمثالا وظيفتها توعية الناس بحقيقة المرأة و الدعوة إلى الحذر الشديد منها لأنها خطيرة تظهر شيئا و تخفي أشياء .

و بالإضافة إلى قصة يوسف عليه السلام ، نجد قصة دينية أخرى تروي " أن عيسى عليه السلام قد التقى في أحد الأيام مع إبليس و هو يسوق حمارا محملا بالبضائع فلما سأله عيسى عليه السلام عن نسبة الزبائن و إقبالهم على بضائعه أجابه إبليس أن له الكثير من الزبائن و لكن أغلبهم من النساء و هو يفضلهم عن غيرهم ، كما أن السلعة التي يقبلن عليها تتمثل في المكر و الخداع ". و يقود هذا الحكم السلبي إلى ظاهرة التعميم في المجال الشعبي و الغريب في الأمر أن الأمثال الشعبية قد تأثرت فقط بالجانب السلبي للمرأة بينما أهملت الجوانب الإيجابية لها ، فقد غضّ الفكر الشعبي الطرف عن خديجة بنت خويلد و وقوفها إلى جانب الرسول ﷺ في السراء

[1] - سورة يوسف - الآية 28

و الضراء ، كما تناسى خولة بنت الأزور التي حاربت إلى جانب الرسول ﷺ و تناسى الفكر الشعبي كذلك مشاركة المرأة في الثورة التحريرية و معناتها في سبيل الحرية و الاستقلال ، و ربما كان هذا النسيان عن قصد من أجل إيجاد حجج من أجل السيطرة على المرأة مع أن الإسلام هو الذي حرّرها و كرّمها و أعطاها حقوقها كاملة ، و يكفي أن نذكر أن الرسول ﷺ قد أوصى بها خيرا حتى في الخطبة التي ألقاها في حجة الوداع .

لقد وقفت الثقافة الشعبية الذكورية موقفا رافضا و مدمرا للمرأة ، رفضتها منذ الولادة ، فأصدرت في حقها حكما بأن تولد ميتة في مجتمع يرفضها و يرفض أن يقبلها و يستقبلها لأنه يعتقد أن مجيئها و حضورها محملان بالعار و الخطيئة .

لقد رفض الفكر الشعبي المرأة ، رفضها طفلة مولودة صغيرة ، و رفضها كأم ولود فهي :

- " **قَرْدَة وَ وَلْدَتْ بَنْتْ** ".[1]

من خلال هذا المثل الشعبي أقصيت المرأة من الدائرة الإنسانية بكل ما تحمله من معاني أخلاقية ، اجتماعية و ثقافية ، فهي حيوان فاقد الوعي و الإحساس و المنطق و العقل ...

[1] - سعيدي محمد - المثل الشعبي الجزائري - مقاربة بنيوية - دكتوراه دولة في الأدب الشعبي ص 147

لقد ظلت المرأة رمز العار والخطيئة الأبدية كما حمّلتها الثقافة الذكورية مسؤولية الخطيئة الاجتماعية والأخلاقية ، الأمر الذي فرض على الرجل أن يتعامل معها تعاملا قمعيا خوفا من الوقوع ضحية عارها و خطيئتها .

إذ يقول المثل :

– " **النَسْوَانْ مْقَالِيعْ ابْلِيسْ وَ الشِيطَانْ** "

لقد رفض الرجل المرأة و تعامل معها تعاملا قمعيا حيث منعها من الخروج من الدار ، فاغتصب حريتها إذ تقول العامّة :

– " **المْرَا عَنْدْهَا زُوجْ خَرْجَاتْ ، لْدَارْ زَوْجْهَا وْ لَقْبَرْهَا** "

لقد حبسها الرجل و فرض عليها حصارا متينا خوفا من العار ، و قد أحست المرأة بهذا السّجن الذي صنعه لها أبوها فظلت تحلم بالخروج من هذه الوضعية عن طريق الزواج :

– "**خُذِي النُورِي وْلاَ تْبُورِي** "

فالمرأة مرشحة لقبول الزواج و تسليم نفسها لأول خاطب يطلب يدها و ذلك بحثا عن تحرير نفسها من سجن عائلتها المفروض عليها منذ الولادة .

غير أن الرياح قد تأتي بما لا تشتهيه السفن ، فسرعان ما تكتشف المرأة أن الفضاء الثاني هو امتداد للفضاء الأوّل لأن كلاهما يتميز بتسلط الذكر على الأنثى :

– " **كِي حَامُّو ،كِي تَامُّو**"

- "وِيلِي عْلَى قَوْمْ بَاعُونِي وْعْلَى قُوْمْ شْرَاوْنِي "

وعموما ، فالثقافة الشعبية ، تزخر بالأمثال التي تعتبر المرأة شرّا لابد منه ، فتدعو إلى الضغط عليها و الحذر منها و عدم الثقة فيها و عدم التسامح معها ، و حتى المثل الوحيد تقريبا الذي اعترف بفضلها قال:

- " الخِيرْ مْرَا وَ الشَّرْ مْرَا "

يعني أنها إذا كانت صالحة ، تكون مصدرا للخير و إذا كانت طالحة ، تكون مصدرا للشّر .

وأخيرا ، نؤكد أن إيديولوجية رفض الأنثى و التنكر لها ، نابعة من عمق فلسفة الوجود البشري و من عمق التاريخ الإنساني في بعده الشامل ، القائم على رفض القوي للضعيف إيديولوجيا ، أو ثقافيا أو اقتصاديا ، أو اجتماعيا أو بيولوجيا .

4- العمل

العمل هو كل جهد عضلي أو فكري ، يبذله الإنسان من أجل تحقيق رغبة اجتماعية نفسية ، ثقافية ، اقتصادية أو سياسية ، و يقابل بمكافأة مادية أو معنوية .

و قد كان العمل الجسمي في القديم عنوان العبودية لأنه يؤلم الجسم و يتعبه و يشد الإنسان إلى عالم الأشياء المادية ، فالعمل الجسمي بصفة عامّة في الفلسفة اليونانية يحطّ من قيمة الإنسان . و قد جاءت العقيدة المسيحية تؤكد هذه النظرة إلى حد ما على أساس أن العمل نوع من العذاب الذي يعانيه المذنب ، ثم جاء الإسلام ليدعو المؤمنين إلى الكسب الشريف ، فقد جاء في الحديث النبوي قوله ﷺ ﴿ **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده**﴾[1] .

و معنى هذا أن المؤمن الحقيقي هو الذي يساهم في تعمير الأرض و يقوم بدور فعّال في الحياة الاقتصادية ، فلا يعتزلها للتبرؤ من هذا العالم و لعنه و انتقاصه ، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [2] . و قد غير الإسلام رأي المؤمنين في العمل الجسمي وحببه إليهم ، فلم يعد يحطّ من قيمة الإنسان ، بل صار يرفعها ممّا جعل الناس يمارسونه ، فقلّت حاجتهم إلى العبيد و أصبح عتقهم مطلبا دينيا فزهد الناس فيهم .

---

[1] – رواه البخاري

[2] – سورة الجمعة – الآية 10

أما النظرة الفلسفية للعمل فتعود إلى فترة سحيقة من التاريخ الإنساني أي حوالي 1500 قبل الميلاد عندما تكونت الديانة الهندوسية ، فمن المعروف أن العمل في هذه الديانة – و الذي يسمى " كراما " – كان له دائما معنى فلسفيا يتعلق بفكرة التناسخ أي انتقال الروح من كائن إلى آخر في رحلة طويلة من أجل التخلص من الشقاء ، فهذه الديانة تؤكد أن الإنسان هو نتيجة حتمية لطبيعة الأعمال التي يقوم بها .

أما العمل في نظر **أفلاطون**[1] ، فمرتبط بطبقة معينة من المجتمع هي طبقة العمال ، و بهذا يعتبر **أفلاطون** صاحب نظرة تخصصية للعمل ، إذ أنّه يقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات أساسية هي : الفلاسفة و الجند و العمال ، أما العمل فيقابل النفس الشهوانية عند الإنسان .

و في القرن الرابع قبل الميلاد كان **أرسطو** يعتبر أنّ العمل مرتبط بطبقة اجتماعية معينة هي طبقة العبيد و كان يرى أن الأعمال اليدوية لا تليق إلاّ بالبرابرة .

أما في العصر الحديث ، فإننا نجد النظرة الفلسفية للعمل عند **هيغل** في أوائل القرن التاسع عشر بإقامته جدليته الشهيرة بين السيد و العبد حيث اعتبر العمل منبثقا للحرية بينما اعتبره **برغسون** منبثقا للعقل لأن الإنسان الحكيم هو قبل كل شيء إنسان صانع ، إذ ليس العقل إلاّ القدرة على صنع أشياء صناعية ، فالعمل يقوم به إنسان واع يتصور نتيجته مسبقا ، فهناك فرق كبير بين أمهر النحل في صناعة الخلايا الشمعية و أقل المهندسين مهارة ، ذلك أن المهندس يبني البيت في ذهنه قبل بناءه بالفعل ، فهو يتصور

1 –الموسوعة الفلسفية –ترجمة عن الإنجليزية– مجموعة من الأساتذة طبعة مكتبة الأنجلومصرية 1963 ص 49

نتيجة عمله مسبقا بواسطة خياله ، و على هذا فليس العمل مجرد حركات مادية ، بل هو النشاط الذي يقوم به الفكر أثناء نفوذه من خلال المادة و بثّ الروح فيها و إعطائها صورة جديدة .

فالعمل ينمي إنسانية الإنسان و هذا لا يعني أبدا أنّ الإنسان لا يرجو من وراء عمله فائدة ذاتية تتمثل في الأجرة ، بل أنّ العمل ينتزع الإنسان من نفسه و يحرّره من الدائرة الذاتية ، و قد دلّت التجارب الكثيرة على أنّ المصابين بالأمراض العقلية تخفّ اضطراباتهم عندما يكلفون ببعض الأعمال الخفيفة مما يثبت أن العمل يعد إحدى دعائم الصحة العقلية ، أما من الناحية الاجتماعية فإنّ الكسل و البطالة غالبا ما تكون مطيتين للانحراف و الإجرام في حين أن العامل يتحرر من عالمه الذاتي الضيق ليدخل عالم الحياة الاجتماعية و يقوم بدوره ضمن الهيأة الاجتماعية التي يضطلع بنشاطها جميع أفرادها و لهذا يمكن أن نقول أنّ العمل هو إحدى خصائص الإنسان منه يستمد قيمته الإنسانية و الاجتماعية و حتى يكون الإنسان إنسانا يجب عليه أن يعمل .

هذه الحقيقة الفلسفية التي توصلنا إليها عن طريق التحليل و التفكير و الاستدلال توصل إليها الفكر الشعبي بتفكيره البسيط و فطرته الطبيعية و تجلى ذلك من خلال الأمثال الشعبية الداعية صراحة إلى العمل و هي الأشيع و الأكثر رواجا في ميدان الأمثال الشعبية السائرة بين الناس في تلمسان .

و من الأمثال التي تمجّد العمل و تشييد بقيمته و شرفه ما يلي :

- " **اخْدَمْ يَا صُغْرِي لْكُبْرِي وْ اخْدَمْ يَا كُبْرِي لْقَبْرِي** "
- " **الصَنْعَة يْلاَ مَا غْنَاتْ تَسْتَرْ** و قيل **تْزِيدْ فِي العْمَرْ**"
- " **اْخْدَمْ بَاطَلْ وْ مَا تَبْقَاشْ عَاطَلْ** "
- " **الرَجَلْ بْلاَ سكَّة وْ المْرَا بْلاَ ركَّة وَا جِي يَا الهَمْ وَ اتْوكَّا** "

فهذه الأمثال و غيرها كثير كلها تمجد العمل و الكدّ و تحضّ الناس عليه و هي بذلك تنبذ الكسل و التواكل و تطعن ضمنيا فيهما و لو توقفنا لدى المثل الأوّل لوجدنا أنّه يدعوا إلى ضرورة استغلال مرحلة الشباب من أجل الشيخوخة لأنّ الإنسان في شبابه يكون يتمتع بكامل قواه الجسمية و العقلية فلابد أن يعمل في شبابه حتى يستريح في شيخوخته و نجد في هذا المثل كذلك دعوة إلى أن نعمل من أجل الدنيا كأننا نعيش أبدا و من أجل الآخرة كأننا نموت غدا .

أمّا المثل الثاني فإنه يبين لنا بأنّ العمل إذا لم يغنينا فإنه يسترنا و قد يزيد في عمرنا . و المثل الثالث قد تعمق في تبيين أهمية العمل إلى درجة أنه يطالب الإنسان بالعمل دون مقابل ، فالمهم أن لا يبقى عاطلا حتّى لا ينحرف .

أمّا المثل الأخير فنجد أنه يسخر سخرية لاذعة من الأسرة التي لا يعمل أفرادها ، فالرجل لا سكّة له أي لا يحرث و لا يشتغل بأي لون من الزراعة و المرأة مثله لا ركّة لها أي لا تغزل الصوف و لا تشتغل فيه ،

و الغزل هو شرف المرأة الريفية ، إنّ مثل هذه الأسرة الريفية الكسولة لا ينجيها من هموم الفقر و شروره شيء ، بل هي محكوم عليها بذلك ، و هذا الحكم القاسي يصوره القسم الثالث و الأخير من هذا المثل " واجي يالهم واتوكا " أي هلّم أيها الهمّ الثقيل إلى هذه الأسرة التي تكاسلت و تواكلت.

و من الأمثال التي تبيّن أن الفلسفة الشعبية ترفض التواكل و الكسل و تدعوا إلى الجدّ و العمل هذه المجموعة :

- " **اللّي خَدَّمْتُه فِي اظْفَارُه ، مَا يْجِيهْ النُّومْ فِي اشْفَارُه** "
- " **اضْرَبْ عْلَى ذْرَاعَكْ تَاكُلْ المْسَقِّي** "
- " **اللّي عْشَاهْ قْلِيَة بِيْدَاهْ بَالْغَزّ** "
- "**ضَرْبَه بَالفَاسْ خِيرْ مَنْ عَشْرَة بَالقَادُومْ** "
- "**إِذَا حَبِّيتْ الَهمّ عَنَّكْ يْزُولْ عْلِيكْ بْسكَّة وْمَنْجَلْ** "

هذه الأمثال تدعو إلى العمل و تعتبره الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفقر ، فالسكّة و المنجل في المثل الأخير هما رمز للعمل لأن الزراعة هي أقدم عمل عرفه الإنسان و مارسه في الحياة يدلّ على ذلك قول الرسول ﷺ :

﴿**أفضل الكسب الزراعة ، فإنها صنعة أبيكم أدم**﴾.

و قد حثّ الرسول ﷺ على الزراعة حيث قال : ﴿**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**﴾[1] .

فهذا الحديث يلفت الأنظار أولاً إلى أن من وراء منفعة الغارس أو الزارع الخاصّة من شقّ الأرض و زرعها منفعة أخرى قد لا تخطر على باله و هي الأجر و الثواب على ما تناولته الطيور و الدواب من حبوب و ثمار .

و يجدر بنا أن نشير إلى أن الأمثال الشعبية لا تنفّر من أي عمل مهما كان نوعه ، فالمهمّ أنه يقضي على الفقر و يتمّ عن طريق الحلال و بالسبل المشروعة ، يتجلى هذا من خلال الأمثال التالية :

- "**الرَّجَلْ مْنَ الفْحَمْ يْجِيبْ القُفَّة بْاللْحَمْ** "
- "**اليَدِّينْ المُوسْخِينْ يْجِيبُوا الدْرَاهَمْ**"
- "**تَخْدَمْ اللِّيلْ وْالنْهَارْ وْمَا نْمَدْشْ يْدِيَّ لِلْرْجَالْ** "

فالعمل مهما كان نوعه حتّى و لو كان في الفحم و يوسّخ الأيدي ، المهمّ أنه يوصل إلى الدراهيم التي تقضي على الفقر و الحاجَة إلى الآخرين و الرسول ﷺ يقول :﴿ **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب و يبيعها فيكفّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**﴾

[1] – رواه البخاري و مسلم

فالأمثال الشعبية مثل الأحاديث النبوية توجه الإنسان في طريق الخير، و تريده أن يكون إيجابيا يفيد و يستفيد ، يبني و يعمّر حتّى آخر لحظة من عمره ، و أشد ما تكره منه السلبية المتخاذلة و الانكماش و الانزواء عن معترك الحياة ، فلا مجال للفقر و الضعف و المرض و الجهل .

فالعمل في أي ميدان من ميادين الحياة شرف للإنسان لأنه الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن يحرّر نفسه و يصون كرامته و يتحمل مسئوليته اتجاه الحياة و اتجاه المجتمع الذي يعيش فيه ، فالبطالة و الكسل و التواكل شرّ ما يبتلى به الإنسان لأنها الطريق إلى الفقر الذي يعتبر في الإسلام قرين الكفر لأنه يحوج و يذلّ كرامة الإنسان .

فالأمثال الشعبية تعتبر أن الإنسان الذي يعمل هو السيّد و أن الذي لا يعمل هو العبد لأنّه يحتاج إلى الآخرين كقولهم

– "**خْدِيمْ النَّاسْ سِيدْهُمْ** "

و هو يتفق ضمنيا مع المثل الفصيح الذي يقول : "خادم القوم سيدهم " كما يتفق مع جدلية **هيغل** "العبد و السيد " . و يؤكد المثل الشعبي على أن العمل لا يؤثر على حرية الإنسان فيقول :

– "**الحُرّْ حُرّْ وَالصَّنْعَة ماَ تْضُرّْ** "

و الإنسان طالما كان يعمل فانّه يكسب و يعيش حياة كريمة ، فإذا توقف عن العمل فقد كلّ شيء ، إذ يقول المثل :

– " **الكَسَّابْ اللِّي يْمَلّْ الحَرَكَة يَفْقَدْ البَرَكَة** ".

و نجد أن الأمثال الشعبية مثلما تدعو إلى العمل ، تحرص على النهوض المبكر ، و الإبكار من شأن أهل الريف ، حيث تنهض المرأة مع الطير و مثلها الرجل من أجل أن يقوم كلّ منهما بعمله ، فالمرأة قد تحلب بقراتها و نعجاتها كما تذهب لإحضار الماء على ظهرها أو على الدابة ، في حين أن الرجل يعلف دوابه أو يهيئ نفسه للقيام بالعمل الخارجي كالحرث أو الحصاد أو الدرس ، لذلك نجدهم يوصون دائما في أمثالهم الشعبية بالإبكار و يحثون عليه كقولهم :

- **"أَحْرَثْ بكْرِي وَلاَّ رُوحْ تَكْرِي"**

و يقول المثل الشعبي :

- **"اللِّي يْحَبّ الدنْيَا يْبَكَرْلْهَا وَاللِّي يْحَبّ الآخْرَة يْبَكَرْلْهَا "**.

فالإبكار ليس وقفا على من يحبّ الدنيا وحدها و يحرص على نيل خيراتها و تذوّق لذاتها ، بل يجب أن يصاحب حتى أولئك الذين يودّون نيل السعادة و الرضوان في الدار الآخرة حيث يقومون آخر الليل ، فلا تفوتهم صلاة الفجر أبدا ، فمن العسير بلوغ الثراء بالتواكل و التكاسل و الركون إلى الدعة و راحة البال ، فالدنيا و الآخرة سيّان و الإبكار من أجلهما أمر محتوم .

و يأتي المثل الشعبي ليقول :

- **"الحَرْكَة بَرَكَة "**

أي أن الإنسان الذي يسعى إلى طلب الرزق بالعمل يبارك الله له فيه.

و يقول المثل أيضا :

- " **اخْدَمْ بْصُولْدِي وَحَاسَبْ القَاعَدْ** "

أي اشتغل بمبلغ مهما كان ضئيلا و عندها يمكنك أن تحاسب العاطلين عنه .

إن الدعوة إلى العمل والحثّ عليه ، تجسدت صورتها من خلال تلك الأمثال الشعبية التي تختزنها الذاكرة الشعبية و تحركها عند المناسبة في شكل نصائح و أوامر و نقد و إشادة بأخلاق العمل و العامل و ذم للكسل و البطّال .

فالعمل هو الحياة و الدعوة إلى العمل هي أيضا دعوة إلى حب الحياة و ممارستها اجتماعيا و اقتصاديا و بيولوجيا ، إذ تقول العامّة :

- " **كُلْ شِي بِالأَمَلْ ، غِيرْ الرَّزْقْ بِالْعَمَلْ** "

- " **اخْدَمْ بْفَلْسْ وْحاَسَبْ النَاعَسْ** "

إن العمل ، مهما كان بسيطا و عائده المادي قليلا ، فهو أحسن وسيلة لصيانة العامل من المشاكل و الانحرافات التي تنجم عن البطالة كالسرقة و المرض و الانتحار ... إذ يقول المثل :

- " **رَاسْ الكَسْلاَنْ ، يَسَّكْنُه الشِّيطَانْ** "

- "**رَاسْ البَطَّالْ فِيهْ أَلْفْ شِيطَانْ** "

لقد تفطنت الذاكرة الشعبية إلى عواقب الكسل و البطالة و ما تلحقه بالفرد من سلوكات سلبية خطيرة قد تدمر الفرد و المجتمع ، فشبه الفكر الشعبي البطّال أو الكسلان بالشيطان و بكل ما تحمله كلمة الشيطان من رموز سلبية و من هذا المنطلق ، وقفت الذاكرة الشعبية موقفا إيجابيا إزاء العامل ، و موقفا سلبيا إزاء الكسلان و البطّال ، كما اتجه الفكر الشعبي إلى تقديس العمل و تنظيمه وفق قوانين اجتماعية و ثقافية ، تضمن للفرد حياة سليمة و شريفة حيث ينفع نفسه و غيره و في المقابل لا يسيء لنفسه و للآخرين ، لأن بالعمل يحقق الإنسان إنسانيته التي تميّزه عن باقي المخلوقات .

فحياة الإنسان تقوم على العمل الذي يعتبر هوية الإنسان في هذا الوجود و في هذه الحياة بمفهومها الشامل و عبر هذه الأمثال التلمسانية تظهر حيوية أمتنا العربية و نزوعها إلى العمل و الجدّ و النشاط و الدعوة لذلك ليفيض الخير ، فلا تحتاج إلى غيرها .

الفصل الثالث

البعد الأخلاقي للأمثال الشعبية

المتداولة في منطقة تلمسان

1- المفاهيم الكبرى للحياة الخلقية

2- القيم الأخلاقية في الأمثال الشعبية

الفصل الثالث : البعد الأخلاقي للأمثال الشعبية

1- المفاهيم الكبرى للحياة الخلقية :

- أخلاق اللذّة :

تعرف المدرسة التي تعتبر اللذّة خيرا أسمى و أساسا لكل قيمة ، باسم مذهب اللذّة ***Hédonism*** و اللفظ الإنجليزي من كلمة ***Hedone*** اليونانية و معناها اللذّة و تشكل وجهة نظر هذه المدرسة قطبا في الأخلاق يمكن مقارنته من حيث الأهمية بالمذهب الطبيعي أو المذهب المثالي في الميتافيزيقا.

يبدو مذهب اللذة في جوهره بسيطا ، فالخير يعد في هوية مع اللاّذ و الشرّ مع غير اللاذ .

فاللذة وحدها هي التي لها قيمة عليا ، و ينظر مذهب اللذة إلى كلّ شعور باللذة على أنّه خير و كلّ شعور بالألم على أنّه شرّ بالنسبة للفرد الذي يمارسه .

و ينقسم هذا المذهب إلى نوعين هما النفسي و الأخلاقي ، أما النفسي فهو أقرب إلى النظرية النفسية منه إلى المذهب الفلسفي و بدلا من أن يكون مذهب اللذة النفسية هذا متعلقا بمسألة ما ينبغي أن يفعله الناس و هو ما يتوقع من أية نظرية أخلاقية فإنه يقتصر على بحث سلوك الناس الفعلي أي ما

يرغب فيه فعلا ، فاللذة هي الشيء الوحيد المرغوب فيه بوصفه غاية في ذاته ، فالاهتمام الوحيد المشروع للأخلاق من وجهة نظر مذهب اللذة النفسي هو مسألة الطريقة التي يمكننا بها تحقيق أكبر قدر من اللذة . و مثلما لهذا المذهب أنصار كثيرون فإن له كذلك معارضون و أهم هذه الاعتراضات تلك الملاحظة التي أبداها **أرسطو** منذ وقت طويل و هي " أن الناس قلما ينشدون اللذة مباشرة ، كذلك فإنّهم قلما ينشدونها عن وعي بل إننا نرغب بدلا من ذلك في موضوعات محددة بحيث لا تكون اللذة أو الإشباع إلا ناتجا ثانويا لسعينا إليها أو بلوغنا إياها فعندما نكون جياعا نبحث عن الطعام لا عن لذة الأكل "[1]

فاللذة كما أشار **أرسطو**[2] حالة شعورية تنشأ عندما يقوم الكائن العضوي بأي عمل من الأعمال المتعددة التي يصلح لها دون أن يعترض طريقه شيء .

أما النوع الأخلاقي لمذهب اللذة فيتمثل في تحوّل نظرية القيمة المرتكزة على فكرة اللذة إلى المجال الأخلاقي ، و وجهة النظر هذه لا تتعلق فقط بما هو كائن و إنما هي أكثر تعلقا بما ينبغي أن يكون و الواقع أن مذهب اللذة الأخلاقي أهم بكثير من نظيره النفسي ، إذ أنّ الأخلاق تهتم أساسا بوضع معايير للسلوك .

---

[1] – الفلسفة أنواعها و مشكلاتها-هنزميد -ترجمة فؤاد زكريا – الناشر دار النهضة مصر 1969 ص 282

[2] – أرسطو فيلسوف يوناني ولد في مقدونيا سنة 384 ق م و توفى سنة 322 ق م و هو تلميذ أفلاطون

من أول القائلين بمذهب اللذة **أرستيبوس** ***Aristippus*** المتطرّف تلميذ سقراط الذي يتلخص رأيه في أنّ اللذة هي التي تتحكم في كل خير و بذلك تكون الحياة الخيّرة هي التي تنطوي على أكبر قدر من أقوى إحساس ممكن باللذة و إلى جانب **أرستيبوس** نجد **أبيقورس**[1] ذو الموقف المعتدل و هو أيضا تلميذ "**سقراط**" و قد أكّد أن المبدأ الأساسي في الأخلاق أن يعيش الإنسان وفقا لنواميس الطبيعة و رأس هذه النواميس أن غاية الحياة في الحصول على السعادة و أنّ السعادة في اللذة .

و الإنسان ثلاثة أنواع من الرّغبات أولها طبيعية و ضرورية للحياة كرغبة الأكل و الشّرب و الثانية طبيعية غير ضرورية للحياة كلذة النكاح و الثالثة غير طبيعية و لا ضرورية كلذة السيطرة ، فالعاقل هو الذي يشبع الأولى و يقل من إشباع الثانية و يعرض عن الثالثة .

و العاقل الحكيم هو من عاش بالقليل و اكتفى بالضروري و احتقر ما عدا ذلك و يقول **أبيقور** : " عندما يشعر الحكيم بالحاجة يظل قادرا على أن يعطي أكثر ممّا يأخذ لأن له كنزا و هذا الكنز هو أنه يستطيع أن يجد في نفسه الكفاية . عندما أقول إن اللّذة هي غاية الحياة لا أقصد بذلك ملذات الذين لا يستطيعون كبح شهواتهم و لا اللّذة الجسدية ، ما أضلّ الذين لا يعرفون مذهبي أو لا يفهمونه ! إنما أعني باللّذة عدم الألم الجسدي و الاضطراب النفسي "[2]

---

[1] –ولد أبيقورس سنة 342 ق م و كان متوقد الذكاء يرى الخوف في أصل الشقاء البشري . أسس أبيقورس عام 306 قبل الميلاد مدرسة فلسفية أعماله كثيرة أهمها "رسالة إلى هيرودتس" توفي سنة 270 قبل الميلاد

[2] – تاريخ الفلسفة العربية – حنا الفاخوري – بدران للطباعة و النشر– بيروت – ص 66

بالإضافة إلى الأبيقورية نجد أيضا الرواقية التي تعتبر الأخلاق هي الهدف الأسمى و ليس للموضوعات الأخرى من قيمة إلاّ بقدر ما تتعلق بالأخلاق و القاعدة الخلقية الأولى في الرواقية هي أن يعيش الإنسان وفاقا للطبيعة و بما أن الطبيعة و العقل شيء واحد فغاية الأخلاق أن يكون العقل مسيطرا على السلوك و إذا كانت الشهوات منافية للعقل كانت محاربتها من ضروريات الحياة الخلقية . أما السعادة القصوى ففي الطمأنينة و السلام الداخلي و الخلو من كل اضطراب نفسي ، و الصفاء التام ، و للاضطراب سببان : أن نحرم ما نشتهيه و أن يحدث لنا ما نأباه و في استطاعتنا أن نتلافى هذين السببين ، نتلافى الأول باستئصال شهوات القلب و نتلافى الثانية باللامبالاة و الكفّ عن كل ما لا نستطيع فعله و هكذا تصبح اللامبالاة فضيلة الرواقيين الأولى .

- أخلاق المنفعة

يعتبر **جريمي بنتام** ***Jeremy Bentham*** رائد مذهب المنفعة ، و هو المفكر المؤمن بالموقف الطبيعي و الذي يعدّ العامل الأكبر على التحول من مذهب اللذّة الأنانية إلى مذهب اللذة العامة و هو المنفعة ، و كان يهتم اهتماما كبيرا بالإصلاح الاجتماعي أو الإصلاح التشريعي فكان تفكيره الأخلاقي اجتماعيا و عمليا . و قد كان **بنتام** مقتنعا بأنّ أقوى حصن يحمي من الظلم الاجتماعي هو الاعتراف الصريح بأن كل فرد معنى أساسا بمصلحته الخاصة ، إنّ الخطوة الأولى التي اتخذها **بنتام** لإثبات اتفاق الصالح الخاص و العام و هي التعبير على أصرح نحو ممكن عن مبدأ حساب اللذات ، فقد رأى **بنتام** أنّ قيمة أيّ فعل ينبغي أن يحكم عليها على أساس الشروط السبعة

الآتية : (1) شدّة اللّذة أو الألم الناتج منهما (2) مدّة أيّ منهما (3) يقينيتهما أو عدمها أي مقدار احتمال حدوثهما على النحو المتوقع (4) سرعة حدوثهما (5) خصبهما (6) نقاؤهما (7) نطاقهما . وباستخدام هذا الحساب اعتقد **بنتام** أننا نستطيع أن نحدد بسهولة إن كان الفعل خيرا أو شرّا .

- **أخلاق العاطفة**

ترجع الأخلاق العاطفية جميع العواطف الخلقية إلى المحبة بمعناها العام **فشوبنهاور** مثلا يرى أن الإنسان تتجاذبه دواعي السعادة و الشقاء ، فإذا العمل لم يسعد إلاّ صاحبه كان عملا أنانيا و الأنانية تتنافى مع كل معنى خلقي و العمل الحسن أخلاقيا إنما هو العمل الذي يسعد الغير أو يزيل شقاءه ، فسعادة الغير أو شقاؤه يمكن أن يدفعا الإنسان إلى العمل ، و هذا العمل لا يوصلنا إلى الغير إلاّ بالالتحام به و هو أمر لا يتمّ إلاّ بالمشاركة الوجدانية في الألم الذي يولّد العطف .

إلاّ أنّ أهمّ الانتقادات التي وجّهت إلى هذه النظرية هي أنّ العطف لا يمكن أن يكون وازعا كافيا لإقامة الأخلاق عليه لأنّه حركة عاطفية كثيرة التقلّب كما أنّه من جهة أخرى وليد المشاركة في الآلام بينما هناك المشاركة في الأفراح و اللّذات .

- **أخلاق الواجب**

إنّ الأخلاق تتمثل للضمير في صورة إلزام و واجب يفرض نفسه من الخارج لا من الداخل ، و هذا الإلزام الخارجي يرجعه **دور خائم** إلى " الضمير الجمعي الذي يمنع الفرد من مجاوزة القواعد الخلقية و الذي يراقب

سلوكه عن طريق تسليط العقوبات على كل من تصدّى للخروج عن تلك القواعد "[1]. فالقسر الاجتماعي هو أساس الضمير الخلقي و مصدره ، فالفرد يشعر بالاضطرار إلى التزام آداب اللّياقة رغم اشمئزازه من هذه الآداب كما أنه لا يستطيع ألاّ يلتزم قوانين اللّغة التي تتجاوزه و التي تكفّ مبادراته الشخصية ، و أهم انتقاد وجّه إلى هذه النظرية أنّ المجتمع لا يمكن أن يكون هو مصدر الحياة الخلقية لأنّ التزاماته متضاربة ، فالأوامر السياسية قد تصطدم بالأوامر الدينية و المصلحة العائلية قد تتعارض مع المصلحة الوطنية فليس المجتمع هو الذي يخلق الضمير ، بل الضمير الخلقي هو الذي يخلقه .

أمّا **كانط** فإنّه يرى أنّ موضوع الأخلاق هو ما يجب أن يكون عليه سلوكنا ، و هذا أمر لا يستطيع العلم أن يبينه لنا لأن موضوع العلم إنّما هو الظواهر فقط فهو يستطيع أن يبيّن لنا ميدان السّلوك و يعجز عن توجيهه ، فالعقل إذا هو الذي يقوم بهذه المهمّة ، و العقل و الضمير الخلقي شيء واحد عند **كانط** و رغم أنّ الواجب أمر مفارق فإنّ **كانط** يحايثه للعقل المفارق ، كما أنّ ضميرنا الخلقي هذا لا يسبغ صفة الخيرية على هبات الطبيعة و المواهب الفكرية في ذاتها لأنّ الإرادة هي التي تتصرف فيها ، و الإرادة الخيّرة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يوصف بالخيرية أخلاقيا لأنها تعمل بدافع الواجب لا طبقا للواجب .

[1] – دور خائم – قواعد المنهج في علم الإجتماع – الترجمة العربية – ص 52

و الإنسان كما يقرر **كانط** يختلف عن غيره من المخلوقات ، لذلك يمكنه أن يتحرّر من المؤثرات التي تلقيها عليه الوراثة و الظروف البيئية التي تحدّد فيما عدا هذا تكوينه النفساني ، و إذن فلكونه قادرا على أن يتصرّف كعضو خلقي يؤمن بقوة و فاعلية الواجب يعتبر حرّا فهو يخضع لما يعترف به من نظام خلقي موجود في الكون و هو يخضع له لكونه إنسانا . و يرى **كانط** أنّ إدراكنا لواجبنا يتأتى عن طريق العقل العملي و أننا نرغب في القيام بواجبنا لأنّه صواب و ينبغي أن نقوم به و من هنا نرى أنّ الأخلاق ليست شيئا قائما بذاته بل إنّنا نتّبعها لنحقق شيئا آخر و نقيمها لأنها وسيلة لغاية تتحقّق بما نسمّيه السّلوك الخلقي .

و بعد أن بيّن **كانط** أنّ الأخلاق إنما يمكن قيامها على الشعور بالواجب الذي يمليه العقل ، يبين أيضا أن الواجب يفترض وجود الحرّية التي تجعل الإرادة الخيّرة غير خاضعة للظواهر الحسّية و هذه المسلّمة الأولى لأخلاق **كانط** أمّا المسلّمة الثانية فهي خلود الروح لأنّ الإنسان لا يستطيع أثناء حياته القصيرة أن يظهر من أدران الميول الحسّية لكي يبلغ الكمال الخلقي و لذلك وجب التسليم بوجود حياة أخرى يبلغ فيها الإنسان كماله ، و بما أنّ الحياة الواقعية تبين لنا أنّ الفضيلة التي يدعو إليها الواجب الخلقي لا تصحبها السعادة دائما ، إذ قد يكون الإنسان فاضلا و شقيّا أو رذلا و سعيدا فإنّه يجب أن يكون هناك "إلاه" عادل يوفّق و يجمع ما بين السّعادة و الفضيلة و يزيل التناقض بينهما و يعطي كلّ ذي حقّ حقّه و هذه هي المسلّمة الثالثة التي اقتضتها أخلاق **كانط** .

و عموما فإنّ هناك اتفاق بين الفلاسفة على أنّ الغايات التي يرغب الناس في تحقيقها لذاتها أربع : الخير الخلقي و الصدق و الجمال و السعادة فإذا كنّا نرغب في هذه الغايات الأربع لذاتها فإن العمليات العقلية التي نمرّ بها خلال إدراكنا و تمتّعنا بها هي خير في ذاتها ، و لقد درج الفلاسفة على أن يطلقوا على هذه الغايات التي نرغب فيها لذاتها لفظ " القيم " ، إذن فهذه الحالات العقلية التي هي خير في ذاتها هي تلك التي تنشأ أثناء السّعي لتحقيق هذه القيم أو إدراكها أو التمتع بها .

و أخيرا نستنتج أن العالم الحسّي ليس هو العالم الوحيد بل قد لا يكون عالما حقيقيا ، إذ أن هناك مظهرا آخر من الحقيقة ليس ماديا و هو يحوي قيما يعتبر الخير واحدا منها ، و هذه القيم تتخلّل العالم اليومي المألوف و ترتبط به و فيها القيمة التي نسميها الخير و التي هي جزء من مقومات الشخصية الإنسانية

2-القيم الأخلاقية في الأمثال

أهم المميزات التي تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات الحيّة أنه ذو سلوك خلقي و لذلك قيل عنه أنه كائن خلقي ، فهو يعيش بسلوك خلقي محدّد ، تضبطه العادات و الأعراف و التقاليد التي يصنعها مجتمعه .

و بالرغم من اختلاف القيم الخلقية في المجتمعات الإنسانية بسبب اختلاف الثقافات و المعتقدات فإن العمق الفطري الإنساني ميّال للخير و تواق للحقّ و قبل التطرّق إلى الوظيفة الخلقية التي تؤدّيها الأمثال العامية في تلمسان لابد من التطرّق إلى مفهوم الأخلاق الذي نجد أنه يعني " العادات و التقاليد و الأعراف و الطرق المتبعة للجماعة ، و السلوك الخلقي هو السلوك الذي يتماشى مع قواعد الأخلاق التي تحددها الجماعة ، كما أن المبادئ أو المفاهيم العقلية الخلقية هي قواعد السلوك التي يكون قد تعوّد عليها أعضاء الجماعة بما تتعيّن معه أنماط السلوك المتوقع من كل فرد من أفرادها[1].

و مع أن الكثير من السجايا الخلقية تعدّ وليدة الظروف الحياتية و التجارب التي يعيشها الإنسان فإن للعقيدة الدينية دورها في تثبيت تلك السجايا عندما تتبناها و تعترف بسموّها و صلاحيتها للمجتمع الإنساني فتصبر حينئذ أكثر رسوخا و أعمق اعتقادا .

[1] - كمال الدسوقي – النمو التربوي للطفل و المراهق : دروس في علم النفس الإرتقائي – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت - 1979 .

كما أننا نجد في مقابل ذلك أن معظم القواعد الخلقية مستمدة من التعاليم الدينية و نابعة من مبادئها ، فهناك إذن أخذ و عطاء بين الطرفين .

إننا نلمس هذا الترابط بين القواعد الخلقية و التعاليم الدينية بشكل جلي في المجتمع الجزائري المسلم الذي لا يرض أفراده الاتصاف بصفات خلقية منافية لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف و قد انعكس ذلك في الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان ، إذ نجد الكثير من مضامين هذه الأخيرة مستمدة من مبادئ الإسلام و مسايرة لها في انسجام واضح فلا تناقض بين الاثنين و لذلك نلاحظ أن السلوك الخلقي الأصيل لدى أفراد المجتمع الجزائري تحكمه قواعد خلقية مسايرة للنهج التربوي الإسلامي أو مستمدّة منه .

و من أبرز الشواهد الدالة على هذا التلاحم نجد قولهم في مدح صفة الصبر .

- " **الصَّابَرْ يْنَالْ** "
- " **اصْبَرْ تَجْبَرْ** "
- "**الصَّبْرْ مَفْتَاحْ الجَنَّة**"

هذه الأمثال شائعة و متداولة في تلمسان و المعاني الواردة فيها كلها صدى لما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، فبالنسبة للصبر ، ورد في سورة العصر قوله تعالى ﴿**وَ العَصْرِ ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلاَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[1]

[1] - سورة العصر

و قال الرسول ﷺ : "﴿**عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير و ليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**﴾[1].

و من الأدلة المبينة للترابط بين الأمثال الشعبية و تعاليم الدين الإسلامي ، تلك الأمثال المتداولة في تلمسان و التي تدعو إلى الوفاء بالعهد كقولهم :

- " **الكَلْمَة أَوفِيهَا وَلاَّ مُوتْ فِيهاَ** "

- " **البَرْقَة كِتَخْرَجْ مَنْ الفَمّ مَاتْوَلِيشْ** "

و بالرجوع إلى القواعد الخلقية التي جاءت في تعاليم الدين الإسلامي نجد الجذور الأصلية لمضمون هذه الأمثال و غيرها قد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**وَأَوفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاَ**﴾ و نجد أيضا أن بعض الأمثال العامية في تلمسان ذات مضامين تحذّر من الاتصاف ببعض الصفات المذمومة التي يحرمها الشرع الإسلامي و لا يقبلها الضمير الخلقي العام لدى الناس في هذه المنطقة ، و من هذه الصفات المذمومة الحسد و الثرثرة فقيل في ذلك :

- " **غِيرْ وْلاَ تَحْسَدْ** "

- " **الحَسَّادْ فِي سَمّ يْمُوتْ** "

---

[1] - رواه مسلم

- "الصَّمْتْ حِكْمَة "

- "الفَمْ المَزْمُومْ[1] مَا تَدَخْلُو ذَبَّانَة "

و المقصود بهذا المثل أن الشخص الذي يلتزم الصمت يجنب نفسه الكثير من الأخطاء و المشاكل ، و هذه القيم الأخلاقية لها مرجعيتها في التعاليم الإسلامية ، فقد ورد في السنة النبوية الشريفة تحذير صريح من الحسد حيث قال الرسول ﷺ ﴿ **إياكم و الحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**﴾.

و من مظاهر التلاحم بين الأمثال العامية و تعاليم الدين الإسلامي أيضا أننا نجد العديد من الأمثال العامية قد احتضنت قواعد و تعاليم إسلامية وساهمت في نشرها والتعريف بها بأسلوبها الخاص ومن هذه الأمثال ما يلي:

- " اللِّي مكْتُوبَة فِي الْجْبِينْ لاَزَمْ تْشُوفْهَا العِينْ "

- "اللِّي وْفَا أَجْلُو يْمَدّْ رَجْلُو "

- " العْرَا مْنَ الله وَالوْسَخْ مْنَ الشِّيطَانْ "

- "الجَارْ وَصَّى عْلِيهْ رَبِّي وَالنْبِي "

- "بَالَكْ يْغَرَّكْ إبْلِيسْ "

- "اللِّي صَلَّى وْصَامْ مَا عْلِيهْ كْلاَمْ "

---

[1] – المزموم : المغلق

مضامين هذه الأمثال كلها تعبر عن تعاليم إسلامية معروفة و تدل على أن صفة التدين من أبرز الخصائص و أعمقها لدى أفراد المجتمع .

إنّ المثل انعكاس طبيعي لحياة الإنسان بخيرها و شرها ، حلوها و مرّها ، إلاّ أنّ المثل و هو يعكس هذه الحياة لا يرددها كالببغاء دون هدف واضح أو سياسة مقصودة و لكنه يهدف أولا من استعراض الخير و الشّر إلى دفع الإنسان للاتجاه إلى الخير و يحذره من الالتجاء إلى الشّر مستخدما عدّة وسائل منها التهكم و السخرية و الكشف و التعرية و الدهشة و الاستنكار كما أنه و هو يدفع إلى الخير يتوسل بالنصيحة المباشرة و غير المباشرة و يعرض نماذج من المبادئ السامية كنموذج للتقليد و المحاكاة .

و المستعرض للأمثال العامية في تلمسان يعثر فيها على الصفات الخلقية النبيلة التي يتصف بها أفراد المجتمع و يحرصون على التحلي بها و المحافظة عليها .

و نظرا لكثرة هذا النوع من الأمثال سأكتفي بذكر بعض العينات المرتبطة بأهم القيم الأخلاقية و أبرزها و منها ما يلي :

1- عزّة النّفس :

إن الأمثال المعبرة عن هذه القيمة الخلقية كثيرة بالمقارنة مع أمثال بقية القيم الخلقية الأخرى و لعل كثرتها دليل على مدى الاعتبار الكبير الذي يوليه الناس لهذا الجانب الخلقي و مما قيل في هذا المجال ما يلي :

- " أَعْطِينِي عَبْسَتَكْ مَاشِي خَبْزَتَكْ "

إن الجزائري حتى و لو كان فقيرا فلعزة نفسه لا يقبل الهدية إلا إذا كانت عن طيب قلب و أسلوب التصرف في ذلك يهمه كثيرا ، كما لا تهمه أطباق الطعام التي تقدم إليه عندما يكون ضيفا بقدر ما تهمه طريقة استقباله .

– " **الدِّينْ يْصَفَّرْ الخَدِينْ وَ لَوْ كَانْ دِرْهَمَيْنْ** "

في هذا المثل دعوة واضحة إلى اجتناب الاقتراض من الغير لأن الدين مهما كان ضئيلا يجعل وجه الإنسان مصفرا من الذل و الهوان و يمسه في كرامته و لذلك فعلى الشخص الابتعاد عنه قدر المستطاع .

– " **الشْعِيرْ وَ الرَّاحَة وَ لاَّ القَمْحْ وْ الفْضَاحَة** "

يوجه هذا المثل إلى الطموحين الانتهازيين الذين لا يبالون بدناءة مساعيهم لأن ما يهمهم هو تحقيق أغراضهم الشخصية و على هذا فالفقر مع العزة و الكرامة خير من الثروة مع الذل و الخزي و الدناءة .

فأكل طعام الشعير رغم بساطته و في عزة و كرامة خير و أفضل من أكل طعام القمح الفاخر مع الإهانة و الاحتقار .

– " **الطَلْبَة غَلْبَة لَوْ كَانْ فِي بْلاَدْ الغَرْبَة** "

يعني هذا المثل إن التسول مذلة و خزي و لو كان المتسول مغتربا في بلد أجنبي و لا يعرفه أحد فيه ، و يذكر هذا المثل للتنديد بالتسول و مد اليد .

– " **الطْمَعْ يْفَسَّدْ الطْبَعْ** "

هذا القول يردده الأولياء لأبنائهم لتحذيرهم من الجشع و الطمع .

- " **النَّفْخَة خِيرْ مْنَ الطْعَامْ** "

إن عزة النفس تفرض غالبا على صاحبها التضحية بالجانب المادي للاحتفاظ بالجانب الخلقي .

- " **اللِّي مَا عَنْدُ قَلْبْ كِالْكَلْبْ** "

في هذا المثل بلغ النقد اللاذع ذروته للشخص الذي لا أنفة و لا كرامة له حيث شُبِّه بالكلب لأن هذا الأخير يُضرب و يُطرد و لكنه سرعان ما ينسى عقابه و إهانته بمجرد إعطائه وجبة طعامه حيث يُقبل عليها فرحا .

و قالوا أيضا في هذا الموضوع :

- " **اللِّي مَا عَنْدُوشْ النِّيفْ يَسْتَهَلْ ضَرْبَة بَالسِّيفْ** "

و في هذا المثل جاء النقد أيضا حادا و صارما في حق الشخص المفتقر للعزة و الأنفة ، ذلك أن مضمون المثل ينص بصريح العبارة أن الإنسان الذي ليس له أنفة يستحق القتل .

- " **اللِّي مَا عَنْدُو قَلْبْ يْمُوتْ سْمِينْ** "

يعني هذا المثل أن الشخص الذي ليست له كرامة يعيش ليأكل فليس لديه هم أو ضمير يلومه و هذا يسبب له السمنة حتى الممات .

2- الصبر :

إنّ التحلّي بخصلة الأنفة و عزّة النفس يقترن بالصبر و تحمّل المكاره و كبح جماح الشهوات ، و وجود الخصلة الأولى دليل على وجود الثانية و لذلك نجد في الأمثال العامية في تلمسان الكثير منها يشيد بصفة الصبر و يمدح الصابر و يعده بأحسن العواقب و أطيب الجزاء . و تداول أفراد المجتمع لهذا الصنف من الأمثال دليل على تعلقهم و اتصافهم بهذه السجية الخلقية التي زكّاها الإسلام و حثّ المؤمنين على التحلّي بها .

و من أمثال الصبر الرائجة في أوساط المجتمع في تلمسان ما يلي :

- " **اللّه مْعَاكْ وَ الصْبَرْ دْوَاكْ** "

- " **بَالرْزَانَة تَنْبَاعْ الصُّوفْ** "

- " **اللّي مَا صْبَرْ الْخُوهْ يَصْبَرْ لَعْدُوهْ** "

تحث هذه المجموعة من الأمثال كلها على الصبر و التأني و الرزانة عند مواجهة المصاعب و تعد الصابرين بحسن الجزاء في الدنيا و الآخرة .

- " **اصْبَرْ تَجْبَرْ** "

أي بإذن الله و بالصبر ينال الإنسان مراده .

- " **الصْبَرْ مَفْتَاحْ الجَنَّة** "

يضرب لحث الناس على الصبر الذي هو مفتاح السعادة .

- " **اللّي يبْغِي حَاجْتُه يَنْعَسْ عْلِيهاَ** "

من ابتغى حاجته فلينم عليها ، أي فليأخذ الوقت الكافي لتحقيقها و كأنه ينام و معنى المثل أن الذي يهدف إلى هدف معين لا ينبغي أن يغفل عليه أبدا كما يجب أن يصبر على تحقيقه و لو طال الزمان .

- " **المَرْضْ بَالْقَنْطَارْ وَ الرَاحَة بَالْوْقِيَة** "

أي إذا نزل المرض على المصاب فإنه ينزل وبالا أما الصحة فتعود شيئا فشيئا و هذه العبارة تقال للمرضى حتى لا يقلقوا و لئلاّ يخالفوا ما أوصاهم به الطبيب عند النقاهة .

- " **حتَّى يزَّادْ وَ نْسَمِّيوَهْ عَيَّادْ** "

يضرب هذا المثل للذين يسبقون الأوان فيرسمون المشاريع العديدة قبل وقوع الحدث السعيد الذي يتوقعونه .

- " **غَمَّضْ عَيْنِيكْ يَصْبَحْ الحاَلْ** "

يعني أن الوقت يمر بسرعة فائقة حيث لا داعي للاستعجال .

- " **كَايَنْ الصبْرْ اللّي يَجْبَرْ وْ كَايَنْ اللّي يَدْبَرْ وْ كَايَنْ اللّي يوْصَلّْ لَلْقْبَرْ** "

يعني هذا المثل أن هناك صبر يريح و صبر يوجع و صبر يؤدي إلى القبر ، و المقصود به أن للصبر حدودا و لا ينبغي أن يصبر الإنسان على ما قد يصدر من بعض الناس من التعسف و التجاوز .

من خلال هذه الأمثال و غيرها يتضح أن خصلة الصبر ليست غريبة عند الجزائريين بل هي راسخة في أعماقهم بحكم العوامل التاريخية المتمثلة في ألوان العذاب و الشقاء التي تلقاها أفراد المجتمع من شظف العيش و استغلال فاحش على أيدي قوات الاحتلال الفرنسي و قد تكاملت هذه العوامل لتثبيت سمة الصبر في الشخصية الجزائرية .

3- الوفاء :

من القيم الخلقية البارزة في المجتمع الجزائري عامة و في تلمسان خاصة شيمة الوفاء و مما يؤكد ذلك تداول الناس للأمثال التي تشيد بصفة الوفاء و تثني على الأشخاص الأوفياء و تهجو و تنتقد بسخرية من لا يوفون بعهودهم حيث يقال :

- **" اللّي خَرْجَتْ مْنَ الفَمْ تَسمَّى دِينْ "**
- **" الكَلْمَة أُوفِيهاَ وَ لاَّ مُوتْ فِيهَا "**

و المقصود بذلك أن كل التزام أو تعهد يتخذ و لو مشافهة يجب أداؤه كما لو كان دينا ، إذ من باب الوفاء يعد التعهد دينا في عنق الشخص المتعهد و لا يسقط عليه إلا بأدائه و من ثم وجب على الإنسان ألا يلتزم بدون روية و تفكير.

و من الأمثال التي تحث أيضا على الوفاء ما يلي :

- **" حْرِيقْ ابْدَانِي وْ لاَ فْرَاقْ أوْطَانِي "**

تجعل العرب هذا القول على لسان أفعى التي ترفض أن تغادر جحرها حتى و لو ماتت احتراقا بنار قد تنشب في الحلفاء التي توجد فيها ، و هذا درس عظيم في الوفاء للوطن .

- " **شْعِيْر بْلاَدِي وْ لاَ قَمْحْ التْرَارَة**[1] "

و يشير هذا المثل إلى أن الإنسان يجب أن يكتفي بالشعير الذي تنتجه بلاده وفاء لها و لا يغترب عنها لطلب الرزق و يدخل في ذلك أيضا الحفاظ على الكرامة ، إذ أن أحسن مكان يكرم فيه الإنسان هو بلاده .

4- القناعة :

تعتبر القناعة من الصفات الخلقية التي تدعو إليها الأمثال الشعبية و تشجع على التحلي بها ، و هي صفة متجدرة بتجدر العقيدة الإسلامية في المجتمع الجزائري و التي تدعو تعاليمها إلى القناعة و الزهد في متاع الحياة الدنيا و من الأمثال العامية التي تدعو إلى القناعة في تلمسان ما يلي:

- **البَرَكَة فِي القْلِيلْ**

يقال هذا المثل في الدعوة إلى القناعة و الاكتفاء بالقليل كما يقال في التنديد بالملهوف على الدنيا و يؤيد معنى هذا المثل قول الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه :" القناعة مال لا ينفد "[2] و هناك مثل عربي يقول :

- " **خير الغنى القنوع و شرّ الفقر الخضوع** "

---

[1] - الترارة : إقليم يقع بين عين تموشنت و سيدي بلعباس غني جدا بإنتاج القمح

[2] - نهج البلاغة - الشريف الرضي - الجزء الثالث - ص 164

- " **اللّي فَاتُو الطْعَامْ يْقُولْ : كْلِيتْ ، وَ اللّي فَاتُو الحْدِيثْ يْقُولْ : سْمَعْتْ** "

يقال فيمن لم ينل شيئا في وقته لتغيّبه لا يلح في طلبه .

- " **اللّي مَا كْفَاهْ قَبْرُو يَرْقَدْ فُوقُو** "

و يقال أيضا في القناعة و الاكتفاء بما لديك و التنديد بمد اليد للغير .

- " **اللّي قْنَعْ شْبَعْ** "

- " **الخَبْزْ وَ المَا ، مَا يْخَلّي عْلَى القَلْبْ غُمَّة** "

- " **مَا يَشْكِي بَالزَلْطْ غِيرْ وَلْدْ الحْرَامْ** "

- " **خُذْ مَا أعْطَاكْ الله** "

- " **قَلَّةْ المَالْ وْ لاَ مْغِيضَة الحَالْ** "

إذن هذه المجموعة من الأمثال تشيد بالقناعة و تذكر بأن الرزق القليل يباركه الله ، و أن الفقر ليس عيبا و لا يشتكي منه إلا الشخص الذي لا أصل له ، فالفقر و الغنى من الله سبحانه و تعالى و يقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : " العفاف زينة الفقر و الشكر زينة الغنى" كما أن القناعة بالرزق القليل قد تكون سببا في الحياة السعيدة و الجري وراء المال و الغنى قد يكون سببا في جلب القلق و الشقاء و الجدير بالملاحظة أن مضمون هذه الأمثال يوافق أيضا المبدأ الأساسي للأخلاق عند الأبيقورية حيث يقول **أبيقورس** رائد هذا المذهب : " العاقل الحكيم من عاش بالقليل و اكتفى بالضروري و احتقر ما عدا ذلك ، فالحكيم عندما يشعر بالحاجة

يظل قادرا على أن يعطي أكثر مما يأخذ لأن لـه كنزا و هذا الكنز هو أنه يستطيع أن يجد في نفسه الكفاية"[1]

5 -الكرم :

ليس غريبا أن تدعو الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان إلى الكرم بما أن هذه المدينة جزء من الجزائر و الجزائر جزء من الوطن العربي ، و العرب عرفوا بكرمهم بين الأمم منذ العصر الجاهلي حتّى قيل " أجود من حاتم " و هكذا مجّدت الأمثال الشعبية هذه الخصلة الحميدة التي شجّع عليها الاسم فقالت :

"الجود بعد العرب بدعة " أي أن لا أحد أكرم من العرب

و الكرم في مجتمعنا لا يقترن بالغنى دائما ، فالثراء ليس شرطا ضروريا لكي يكون الإنسان جوادا و هذا ما سجله المثل العامي الذي يقول :

- **"الجُودْ مْنَ المَوْجُودْ "**

و المقصود أن الكريم يجود بما تيسر له و توفر عنده مهما كان ذلك بسيطا و متواضعا فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها .

كما أن من الكرم حسن استقبال الضيوف ، فلا يهمّ ما يقدمه لهم بقدر ما تهمّ البشاشة و حسن الاستقبال و يقول المثل الشعبي المتداول في تلمسان بهذا الشأن :

[1] - تاريخ الفلسفة العربية حنا الفاخوري - بدران للطباعة و النشر - بيروت ص 66

- " بِيَا عَبْسْتَكْ مَا بِيَاشْ خَبْزْتَكْ "

ومن الأمثال الشعبية التي تشيد بالكرم و تمدح الكرماء ما يلي :

- "الكْرِيمْ رَبِّي كَرْمُو"

- "اليَدْ ّاللّي تْمَدّ خِيرْ مَنْ اللّي تْشَدّ "[1]

- "الكْرِيمْ بَاحْبَابُو وَالْبْخِيلْ بْعِيدْ "

- "دَارْ الله يَخْلَفْ عَمَّرْهَا مَا تَخْلَى "

- "الكْرِيمْ حْبِيبْ الله "

- "الضِيفْ مَا يَتْشرَطْ وْمُولْ الدَّارْ مَا يْفَرَّطْ "

فمضامين هذه الأمثال تستحسن كلها خصلة الكرم وتثني على الكرماء ، و هي ذات دلالات تؤكد تعلق مجتمعنا بهذه القيمة الخلقية و اعتزازه بتوارثنا عن السلف أبا عن جدّ.

6 - الصداقة

تعتبر الصداقة من أسمى العلاقات الإنسانية حيث وجدت منذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض بما أن الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه إذ أنّه لا يستطيع أن يعيش منفردا منعزلا عن بقية أفراد المجتمع . وهكذا نجد

[1] - Proverbe et dictons populaires Algérien kada Boutarene ص 302

الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان تتحدّث عن الصداقة و تمجدّها و من بين هذه الأمثال ما يلي :

- " مَا تَضْرَبْ حَتَّى تْقَرَّبْ وْمَا تَصْحَبْ حَتَىَّ تْجَرَّبْ "

يدعو هذا المثل إلى الحذر في اختيار الأصدقاء ، فلا يجب أن نصاحب كلّ من هبّ و دبّ بل نختار الأصدقاء بعد التجربة لأن صديق السوء كما يقول الرسول صلى الله عليه و سلم كنافخ الكير بينما صديق الخير كحامل المسك .

- "إِذَا كَانْ صَاحْبَكْ أَعوَرْ شُفُه عْلَى العِينْ الصْحِيحَة "

و في المقابل نجد هذا المثل الشعبي يقول : إذا كان صديقك أعورا فانظر إلى عينه السليمة و المقصود بهذا أنه يجب عليك أن لا تحاسب صديقك على كل صغيرة و كبيرة لأنك في هذه الحالة قد تجد نفسك دون أصدقاء . و يوافق هذا المثل قول الشاعر العباسي بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا ❁ صديقك لن تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه ❁ مفارق ذنب تارة و مجانبه

- " العْدُو مَا يْوَلِّي صْدِيقْ وَ النُّخَالَة مَا تْوَلِّي دْقِيقْ "

أي أن العدوّ لا يمكن أن يكون صديقا مثلما النخالة لا يمكن أن تصبح دقيقا ، إذن هذا المثل يدعوا إلى الحذر من العدو حتى و إن تغيرت معاملته و تحسّنت فقد يكون ذلك مجرد نفاق

- " الخُلْطَة تَرْدِي وَ الجْرَبْ يَعْدِي يَا وَلْدِي "[1]

أي أن مصاحبة أصدقاء السوء تؤدي إلى التهلكة لأن من عاشر قوما أصبح مثلهم و الطيور كما يقال - على أشكالها تقع و يوافق هذا المثل في المعنى المثل الذي يقول :

- "دِيرْ حْمَارَكْ مْعَ الحْمِيرْ يَتْعَلَّمْ الشْهِيقْ وَالنْهِيقْ وْ خُرْجَانْ الطْرِيقْ "

- "حَجْرَة مَنْ يَدْ الحْبِيبْ تَفَّاحَة "

أي أن الهدية من الأصدقاء مهما كانت بسيطة لها قيمة في نفس الطرف الثاني .

- "اللِّي جْرَحْ القَلْبْ وَدْمَاهْ وَاشْ مَنْ عِينْ تَلْقَاهْ "

أي أن من يسيء إلى مشاعر الآخرين يفقدهم إلى الأبد .

و من الأمثال الشعبية التي تبين أن الصديق يعرف وقت الشّدة و هو الذي يشارك صديقه في الأفراح و الأحزان ما يلي .

- "حْبِيبَكْ مَنْ يْشَارْكَكْ فِي الافْرَاحْ وَ الاقْرَاحْ "

- " خُوكْ مَنْ وَاتَاكْ مَا هُوشْ مَنْ وَلَاكْ"

- "شَرْقَة مَنْ رِيقَكْ تْوَرِّيكْ عْدَوَّكْ مَنْ صْدِيقَكْ "

- "عَنْدْ الشَدَّة وَالضِّيقْ يَظْهَرْ العْدُو مَنْ الصْدِيقْ "[2]

---

[1] - الأمثال الشعبية الجزائرية - عبد الملك مرتاض - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ص 155

7-التعاون :

يعتبر التعاون من القيم الأخلاقية التي تحرص الأمثال الشعبية على غرسها في نفوس أفراد المجتمع اللذين يتداولون تلك الأمثال عن رضا و اقتناع بجدواها في إصلاح الأشخاص و الجماعات و أهميتها في بناء المجتمعات . فكثير من الأمثال تدعو إلى التعاون و تحث عليه و منها قولهم .

- **"المَتْعَاوْنَة مْعَ اليْهُودْ وَالنْصارَى وَالقْعادْ لَخْسَارَة "**

رغم أن الجزائري كانِ يكره العمل مع النصارى (الفرنسيين) إلا أن هذا المثل يفضّل العمل مع النصارى على الكسل وتضيع الوقت

و أيضا من الأمثال التي تدعو إلى التعاون

- **"اليَدْ ماَ تْصفَقْ غِيْر بْاخُتْهاَ "**
- **" يَدْ وَحْدَة مَا تْصفَّقْ "**
- **" السُلْطَانْ بَالتَاجْ وْيَحْتَاجْ "**
- **"الهَمّْ بِالمِتْعاوْنَة"**
- **"اللّي مَا يْعَاوَنْ خُوهْ فِي الضّيقْ ، ماَ يْصِيبْ فِي الشَدَّة رْفِيقْ "**

---

[2] – proverbes et dictons populaires algériens – Kada Boutarene ص 75

بعد دراستي لمجموعة كبيرة من الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان و التي تتحدّث عن القيم الأخلاقية وجدت أنها تتفق إلى حدّ بعيد مع مبادئ الدين الإسلامي فهي توافق ما جاء في القرآن الكريم و الحديث الشريف ، و هذا طبيعي بما أن المجتمع الجزائري مسلم .

كما أن هذه الأمثال الشعبية تتفق إلى حدّ بعيد مع بعض المذاهب الأخلاقية الغربية و الدليل على هذه النتيجة ما يلي :

لقد أكّد " **أبيقورس** " و هو تلميذ سقراط أن العاقل الحكيم هو من عاش بالقليل و اكتفى بالضروري و احتقر ما عدا ذلك ، و هذا المذهب يتفق إلى حدّ بعيد مع بعض أمثالنا الشعبية التي تدعو إلى القناعة مثل قولنا :

- "**البَرَكَة فِي القْلِيلْ** "

أي أن القليل يباركه الله فيكفي أصحابه

- "**الطْمَعْ يْفَسَّدْ الطْبَعْ** "

هذا المثل يذم الطمع و يعتبره من الطباع الفاسدة ، كما يدعو بصفة غير مباشرة إلى القناعة و الرضا .

- "**لاَ تَجْرِي لاَ تْهَقْهَقْ وْ اجْرِي جَرْيَة مْوَافْقَة ، لُو كَانْ تْمُوتْ بَالشْقَا ، تَدِّي لِي كْتَبْ لَكْ** "

و هذا المثل الشعبي أيضا ينهى الناس عن الجري المتواصل وراء المال و يدعوهم إلى الرضا و القناعة لأن كلّ شيء مكتوب من عند الله فيجب التسليم بالقضاء و القدر .

كما أن بعض الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان تتفق في مضمونها مع مذهب " **الرواقية** " التي تعتبر الأخلاق هي الهدف الأسمى حيث يرى الرواقيون أن السعادة القصوى في الطمأنينة و السلام الداخلي و الخلوّ من كلّ اضطراب نفسي و الصفاء التام ، و للاضطراب سببان : أن نحرم ما نشتهيه و أن يحدث لنا ما نأباه و في استطاعتنا أن نتلافى هذين السببين ، نتلافى الأوّل باستئصال شهوات القلب و نتلافى الثانية باللامبالاة و الكفّ عن كلّ ما لا نستطيع فعله و هكذا تصبح اللامبالاة هي فضيلة الرّواقين الأولى ، و بالتالي فهذا المذهب يتفق أيضا مع كثير من أمثالنا الشعبية المتمثلة في ما يلي .

- "**الهْنَا ضَمَّنْ الغْنَا** "

في هذا المثل دعوة إلى اللامبالاة بالفقر لأن السعادة أحسن من الغنى المادي .

- " **هَذَاكْ العَنْقُودْ حَامَضْ** "

يعني هذا المثل أن عنقود العنب الذي لا تستطيع قطفه لعلوّ مكانه ، اعتبره حامضا و لا تهتم به ، إذن هذا المثل يدعو بصورة غير مباشرة إلى اللامبالاة بالآمال و الأحلام التي نحلم بها و لا نستطيع تحقيقها و اعتبار أن لا أهمية لها لأن في ذلك راحتنا النفسية و سعادتنا و الأمر نفسه ذهب إليه الرواقيون .

- " **اعْمَلْ الهَمّ فِي القُفَّة ، شِي يْطِيحْ ، شِي يَبْقَى** "

- " أنْسَى الهَمّ يَنْساكْ"

و في هذين المثلين أيضا دعوة إلى اللامبالاة بالهموم و المشاكل و ضرورة نسيانها لأن لا فائدة ترجي من وراء اجترارها ، ففي اللامبالاة و النسيان الطمأنينة و الراحة النفسية .

و نجد أيضا أن الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان تتفق في مضمونها مع مذهب "**المنفعة** " الذي تزعمه **بنتام** ***Bentham*** و الذي كان مقتنعا بأن أقوى حصن يحمي من الظلم الاجتماعي هو الاعتراف الصريح بأن كلّ فرد معنى أساسا بمصلحته الخاصة و من هذه الأمثال الشعبية ما يلي :

- **"اللّي مَا فِيهْ النْفَعْ ، ادْفَعْ "**
- **"بُوسْ الكَلْبْ مَنْ فَمُّو حتَّى تَقْضِي حَاجْتَكْ مَنُّو "**
- **"اللّي مَا عَنْدَه فْلُوسْ ، كْلاَمَه مَسُّوسْ "**
- **"الله يَرْحَمْ اللّي مَاتْ وْخَلَّى الفْتَاتْ "**
- **"اللّي جاَ وْ جَابْ يَسْتَاهَلْ الفْرَاشْ وَ الجْوَابْ وَاللّي جاَ وْ مَا جَابْ يَسْتَهَلْ تَحْرِيشَة مَنْ الكْلاَبْ "**

هذه الأمثال الشعبية و إن اختلفت تفاصيلها إلا أنها في عمومها تبين أن كلّ فرد في المجتمع لا يهتّم إلا بمصالحه الشخصية و منافعه الذاتية أما ما عدا ذلك فلا يهمّه .

وبعض الأمثال الشعبية توافق أخلاق العاطفة التي يمثلها **شوبنهاور** الذي يرى أن الإنسان تتجاذبه دواعي السعادة و الشقاء ، فإذا العمل لم يسعد إلا صاحبه كان عملا أنانيا و الأنانية تتنافى مع كل معنى خلقي و العمل الحسن أخلاقيا إنما هو العمل الذي يسعد الغير أو يزيل شقاءه .

و من الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان التي توافق هذا المذهب ما يلي :

- " **الهَمْ بَالْمَتْعَاوْنَة** "
- " **الفَرْحْ بَالْحْبَابْ وَ القَرْحْ بَالَحْبَابْ** "
- " **اعْمَلْ يَدَّكْ عْلَى قَلْبَكْ اللِّي يْضَرَّكْ ، يْضَرْ غِيرَكْ** "
- " **اليَدْ اللِّي تْمَدْ خِيرْ مَنْ اللِّي تَقْبَضْ** "

هناك أمثالا شعبية كثيرة أيضا توافق أخلاق الواجب عند **دورخائم** و **كانط** **فدورخائم** يرى في مذهبه الأخلاقي أن الأخلاق تتمثل للضمير في صورة إلزام و واجب يفرض نفسه من الخارج ، لا من الداخل ، و هذا الإلزام الخارجي يرجعه "**دورخائم**" إلى الضمير الجمعي الذي يمنع الفرد من مجاوزة القواعد الخلقية ، فالقسم الاجتماعي هو أساس الضمير الخلقي و مصدره ، فالفرد يشعر بالاضطرار إلى التزام آداب اللياقة . و من الأمثال الشعبية التي توافق هذا المذهب ما يلي :

- " **أعْمَلْ كِيمَا اعْمَلْ جَارَكْ وَ لاَّ بَلَّعْ بَابْ دَارَكْ** "

- " **كُلْ اللِّي يَعَجْبَكْ وَ ألْبَسْ اللِّي يَعْجَبْ النَّاسْ** "

أما **كانط** فإنه يرى أن موضوع الأخلاق هو ما يجب أن يكون عليه سلوكنا ، و العقل هو الذي يقوم بهذه المهمّة ، و العقل و الضمير الخلقي شيء واحد عند **كانط** الذي بيّن أيضا أن الواجب يفترض وجود الحرية التي تجعل الإرادة الخيّرة غير خاضعة للظواهر الحسّية ، كما يؤكد **كانط** على وجوب التسليم بخلود الروح و بوجود حياة أخرى يبلغ فيها الإنسان كماله ، و بما أن الحياة الواقعية تبين أنّ الفضيلة التي يدعوا إليها الواجب الخلقي لا تصحبها السعادة دائما فإنه يجب أن يكون هناك إلاه عادل يوفّق و يجمع بين السعادة و الفضيلة و يزيل التناقض بينهما و هذه هي المسلّمة التي اقتضتها أخلاق **كانط** و من الأمثال الشعبية التي توافق هذا المذهب الأخلاقي ما يلي :

- " **اعْمَلْ الخِيرْ وَ انْسَاهْ** "
- " **لاَ تْحافِي الشّينْ بَافْعالُو ، لاَ يْعُودْ حَالَكْ مَنْ حَالُو** "
- " **الظَالَمْ مَا يْرُوحْ سَالَمْ** "
- " **لْسانَكْ سُلْطَانَكْ يْلاَ صُنْتُه صَانَكْ وَ يْلاَ هَنْتُه خَانَكْ** "
- " **اللِّي خَرْجَتْ مْنَ الفَمّْ تَتْسَمَّى دِينْ** "

الفصل الرابع

البعد الإقتصادي للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان

1- النشاطات الإقتصادية

2- الإدخار و التدبير المنزلي

الفصل الرابع : البعد الاقتصادي للأمثال

يعتبر الاقتصاد محرّك الحياة و العنصر الأساسي لنموّ و تطوّر أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية .

و نظرا لأهمية النشاط الاقتصادي في حياة الأمم ، فإنّ الشعب الجزائري كغيره من الشعوب قد أولى لهذا الميدان ما يستحقه من الاهتمام ، و يتجلى ذلك في الحيّز المعتبر الذي أفرده له في أدبه الشعبي ، حيث خصّه بعدد ضخم من الأمثال المتنوعة بغية إرشاد و توجيه أفراد مجتمعه إلى السلوك الاقتصادي المرغوب الذي يساعدهم على ضمان حياة متوازنة و على اجتناب العواقب الوخيمة في هذا المجال .

و سنحاول استجلاء طبيعة السلوك الاقتصادي من خلال عرض عيّنات من الأمثال ذات المضمون الاقتصادي و ذلك قصد التعرّف على أهم النشاطات الاقتصادية التي يمارسها المجتمع الجزائري في منطقة تلمسان من خلال الأمثال الشعبية المتداولة في هذه المنطقة .

1- النشاطات الاقتصادية

- الزراعة :

تحتلّ الأمثال المرتبطة بالشؤون الاقتصادية مقدمة الأمثال العامية الجزائرية المتداولة في تلمسان و خاصة ما تعلّق منها بالاقتصاد الزراعي ، حيث يلاحظ كثرتها و تنوعها مقارنة مع غيرها من الأمثال الأخرى مما ينمّ على المكانة المرموقة التي تتبوأها الزراعة في المجتمع الجزائري .

و هذا ليس غريبا إذا علمنا أنّ " أنّ الريف الجزائري بطبيعته التقليدية قام منذ أن تكونت بنياته الأولى التحتية ، على الزراعة و اقتصادها و نظامها . فلا عجب إن ألفينا أمثالا شعبية كثيرة تتحدث عن هذه الزراعة و ما يتصل بها ، و ما ينتج عنها و ما ينتمي إليها : طورا تمجّد ، و طورا تقعّد القواعد و ترسي الأصول "[1]

إن المتدبر في الأمثال العامية الجزائرية ذات المنحى الاقتصادي يستنتج أنّ الغاية الأساسية المستهدفة فيها هي إرشاد الأفراد و تعليمهم قواعد اقتصادية تهديهم إلى السبل المؤدية إلى النجاح في أعمالهم و تنصحهم باتباع الطرق السليمة التي أثبتت تجارب السلف نجاعتها .

و الذي يعنينا هنا هو الزراعة و قد وجدنا المبدع الشعبي يعيرها كل عنايته ، فالجزائر معروفة بتنوع تضاريسها و خصوبة تربتها كما أنّ أهلها مولعون بأرضهم و حريصون على فلاحتها منذ أقدم العصور ، حيث كان

[1] – الأمثال الشعبية الجزائرية – الدكتور عبد الملك مرتاض–ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ص 11

إنتاجهم الغزير يصل إلى ما وراء البحار ، لذلك فلا عجب أن ينعكس ذلك التعلق في أمثالهم و أقوالهم المأثورة في شكل نصائح و قواعد تهدي أفراد المجتمع إلى أحسن المناهج لخدمة الأرض و استثمار خيراتها .

و إذا كان علماء الاقتصاد الصناعي لا يزالون يبحثون عن الطرق و الوسائل الفنية لتجنيب الإنسان الأخطاء في سلوكه الاقتصادي الذي يجب أن يخضع لقواعد علمية لا يعدوها قيد أنملة ، ثم إذا كان علماء الزراعة يجهدون جهدهم في إرساء قواعد علمية للمنهج الذي يجب أن تقوم عليه خدمة الأرض ، و استثمار الماء و استغلال الزمن و التحكم في الطبيعة إن البنية الريفية في المجتمع الجزائري و لا سيما بالأمس لم يكن لها من الوسائل العلمية و التقنية ما كان يتيح لها أن تتحدث عن الزراعة من خلال التجارب التي تخضع للآلة و المختبر و التخطيط الدقيق ، فعمدت إلى التجارب اليومية المعيشة فصاغتها في كلمات وجيزة تلخص طرقا ومناهج و أصولا [1]...

و نلاحظ أن الإرشادات الفلاحية التي تتضمنها الأمثال الزراعية الجزائرية المتداولة في تلمسان متنوعة بتنوع الأنشطة التي يزاولها المزارعون ، و المحاصيل التي يجنونها من خدمة أراضيهم ، فهناك الأمثال المرتبطة بغرس الأشجار و الأمثال التي تتعرض لزراعة الحبوب و غير ذلك .

[1] – عبد الملك مرتاض – المرجع السابق – ص 12

ففيما يخص زراعة الحبوب نجد أن الحكيم الشعبي قد خصّ بالذكر غلّة القمح و بالتحديد الصنف المسمى منه " المرواني " و هو نوع مشهور بجودته كما أن الظروف المناخية في المنطقة تناسب زراعته حيث يقول المثل الشعبي :

- " **اللّي يَزْرَعْ ، يَزْرَعْ المَرْوَانِي ، وَ اللّي يَغْرَسْ ، يَغْرَسْ الغُدَانِي** "

إن مضمون المثل يشير إلى الخطوة الأولى التي ينبغي أن يخطوها الراغب في زراعة الحبوب و تتمثل في اختيار نوعية البذور ، لما لهذا الاختيار من أهمية في الحصول على الإنتاج الجيّد ، و قد ربط اقتراحه في انتقاء بذور القمح الجيّدة باقتراح آخر يخصّ غرس أشجار التين ، فنصح الحكيم الشعبي بغرس النوع المسمى " **بالغداني** " و هو صنف ذو ثمار سوداء اللون و ذات مذاق لذيذ كما أنها صالحة للادخار حيث يقوم أصحابها بتجفيفها و ادخارها لبقية شهور السنة و لا تصاب بالتلف .

إضافة إلى أنّ هذا الصنف من التين تثمر أشجاره مرّتين في السنة ، إذ بجانب إنتاجها الأساسي الذي يكون في فصل الخريف ، فهي تثمر بواكيرها الممتازة في بداية فصل الصيف و هذا عكس بعض الأصناف الأخرى التي لا تصلح للتجفيف و الادخار و ليس لها بواكير .

و حسب الأمثال الشعبية، فإن انتقاء بذور القمح الجيدة لابد أن يصحبه اختيار الأرض المناسبة التي يجب أن تمتاز بخصوبة تربتها و صلاحيتها لمثل هذا النوع من الحبوب، و هذا ما نجده في المثل الذي يقول :

- " **القَمْحْ يْجِي فِي التْوَارَسْ**[1] "

فالمزارع الجزائري ، بحكم تعامله مع الأرض ، و تجاربه المتعددة مع أنواع تربتها اكتشف أن تراب " **التوارس** " هو المناسب لزراعة القمح للحصول على إنتاج وفير و جيد .

و هناك مثل آخر أورد فيه الحكيم الشعبي تصنيفا أكثر تفصيلا لأنواع التربة و ذكر فيه الأعمال المناسبة لكل نوع حيث قال :

- " **التِرَسْ لَلْعْجِينْ ، وَالحَمْرِي لَلْخْزِينْ وَ البَيَاضَة لَلْدْفِينْ** "

فتربة الترس أشرنا إليها سابقا و قد جاءت مقترنة في المثل بالعجين الذي يرمز إلى القمح الذي تنتجه الأراضي المسماة بالتوارس .

و في الجزء الثاني من المثل ذكر بأن الحمري للخزين و المقصود بذلك أن التربة ذات اللون الأحمر غير خصبة و لا تصلح للزراعة و من الأحسن أن تستغل للخزن عن طريق حفر المطامير فيها و استغلالها لادخار الحبوب و نحوها .

أما الجزء الأخير في المثل فقد أشار إلى أن التراب الأبيض مناسب لدفن الموتى باعتباره ضعيف الخصوبة .

---

[1] – التوارس : لفظة عامية مفرضها تِرَسْ ، تطلق على نوع من التربة الخصبة

و بعد اختيار البذور الممتازة و تحديد الأرض المناسبة لها تأتي مرحلة الزرع و الحرث و هنا زوّد الحكيم الشعبي الفلاح بجملة من النصائح التي توصله إلى النجاح في أعماله و منها ما يلي :

- " **إِذَا رْوَتْ فِي النَايَرْ نَقَّصْ مْنَ الخْمَايَرْ وْزِدْ فِي المْطَايَرْ** "

يدل هذا المثل على أنّ وفرة إنتاج الحبوب و جودة محاصيله في الأراضي الفلاحية مرهونة بكمية الأمطار المتساقطة خلال الموسم الزراعي ، و هذا الوضع دفع الفلاح الجزائري إلى الاهتمام بالأحوال الجوية و تقلباتها ، و توصل بفضل المشاهدة المتكررة و التجارب المتعددة ، إلى اكتشاف بعض أسرار الطبيعة ، فبنى على أساسها تكهناته و تخميناته .

و رغم أن صحة هذه التخمينات تبقى نسبية و مفتقرة إلى الأدلة العلمية الدقيقة فإن المزارع الجزائري قد ربط بها مخططه الفلاحي و قرر بناء على ذلك أن الأرض إذا ارتوت بالمطر المتهاطل في شهر يناير فتلك علامة من العلامات الدالة على نجاح الموسم الفلاحي :

- " **فِي الجْلِيدْ احْرَثْ وْزِيدْ** "

و حسب هذا المثل الشعبي فإن ظهور الجليد في بداية السنة الفلاحية علامة تدعو إلى التفاؤل أيضا ، و في هذه الحالة ما على الفلاح إلاّ أن يضاعف المساحة المزروعة بتخفيض كمية الحبوب المدخرة و الزيادة في البذور .

- " **مِنْ يْنَوَّرْ اللُوزْ ، مَا يَحْرَثْ غِيرْ المَدْبُوزْ**[1] "

أما هذا المثل فقد أشار -بأسلوب- ساخر إلى الفترة الزمنية التي ينبغي أن تنتهي فيها عملية البذر والحرث وعلامة هذه الفترة حين يزهر اللوز فيخرج نوره الأبيض أو البنفسجي الجميل الرواء، الفاقع اللون، ومن تجاوز هذه الفترة، وصف بالمدبوز التي تعني في العامية الشخص المتهور الأبله.

و من الأمثال الشعبية التي طرحت حول الزراعة و قواعدها التي تضع لها نظاما إذا جاوزته صاحبها الخسران قولهم :

- " **اخْطَاكْ يَا الغَارَسْ فِي مَارَسْ** "

إن غرس الشجر له أصول معروفة في قواعد الزراعة ، بحيث أن لها زمانا معينا إذا عدوناه ، لم ينتج ما نغرس ، و هذا الزمن يمتد في الغالب مع امتداد فصل الشتاء لأن الفسل الذي يغرس يكون في هذه الفترة من السنة أقرب ما يكون إلى الحياة و التفتح لأنه يكون متطلعا إلى الإيراق الناشئ عن تفتح براعم الغصن بفعل الطاقة الحرارية الحياتية الطبيعية التي اختزنت فيه : و هي بفعل الماء و الحرارة محكوم عليها بأن تتوالد و تتلاقح فتصبح خلقا جديدا .

من أجل ذلك وجدنا الفلاحين يضعون هذا المثل منبهين على أن غرس الشجر يجب أن يكون في شهر مارس، إذا أردنا للشجرة نموا وحياة ثمّ بقاء :

[1] - المدبوز : الشخص المتهور الأبله الشقي .

- " مارَسْ بُوتْلُوجْ وتَالِيهْ عَسْلُوجْ "

مارس في الجزائر شهر الثلوج و لا سيما في النصف الأول منه و حين تتهاطل الثلوج خلال هذا الشهر يتفاءل الفلاحون و يقتنعون بأن الموسم الزراعي سيكون جيدا لأن الأرض إذا رويت جيدا ينشأ عنها كلأ و زرع .

- " فِي أَبْرِيلْ يَتْمَيَزْ القَمْحْ مَنْ الشْعِيرْ "

أي أنّ في شهر أبريل يتميز زرع القمح من نبتة الشعير .

و من الأمثال الشعبية الأخرى التي تجسّد خلاصة لتجارب زراعية تشبه القاعدة التي ليس فيها استثناء قولهم :

- " اللِّي سَبْقَكْ بْلِيلَة ، سَبْقَكْ بْحِيلَة "

- " احْرَثْ بَكْرِي وَلاَّ رُوحْ تَكْرِي "

إن الحرص و الجدّ و النشاط و الحيوية من صفات الفلاح ، و الإبكار من شأن أهل الريف ، فالذي يسبقك بليلة في الحرث ، قد سبقك بحيلة لا تدركها أبدا و هنا أنت بين أمرين لا ثالث لهما : فإما أن تحرث باكرا مجرد هطول الأمطار الأولى المروية للأرض من جفاف الصيف و إما أن تيأس من الخير و تبحث لك عن مخرج اقتصادي من غير الأرض .

- المال و التجارة

إن المال عصب الحياة ، إذ به يتمكن الإنسان أن يذلل كثيرا من العقبات التي تعترضه في الحياة ، و المال على هذا الأساس يعطي الناس مكانتهم الاجتماعية و يظهر ذلك خاصة في المجتمعات الرأسمالية التي تعتمد على التنافس الحر و على هذا الأساس يكون المال في هذه المجتمعات غاية الغايات ينبغي الوصول إليها بكافة السبل الشرعية و غير الشرعية[1] .

لكن في المجتمعات الاشتراكية نجد أن النظرة إلى المال نظرة وسيلة لتحقيق السعادة للجماعة .

و التنويه بقيمة المال واضحة في المثل عند العامي الجزائري إذ يقول :

- " **قِيمَةْ الرَجَلْ بِاللِّي تَحْتْ بَاطُه**[2] "

من خلال هذا المثل نتبين قيمة المال و كيف ينظر الناس إلى صاحبه ، حتى أن الفكر الشعبي يربط بين المال و الخلْق ، فنظرته إلى شخص آخر لا تكون مبنية على أساس الجمال كما يتوهم كثير من الناس و لكن الأمر متعلق أساسا بالثروة و المال ، إذ يقول المثل الشعبي المتداول في تلمسان :

- "**اقْرَعْ وْ بَفْلُوسُو أَرَ ذَاكْ الرَاسْ نْبُوسُو** "

---

[1] - أحمد شعلان - الشعب المصري في أمثاله الشعبية - ص 249

[2] - باطه : إبطه

هذا المثل على لسان المرأة إذ تقول أنه لا يهمها أن يكون زوجها أقرعا ينعدم الشعر في رأسه ، الأهمّ من ذلك أن يكون غنيا ، فماله هو الذي يغطي رأسه و عيوبه .

على أن المال من المنظور الديني عند بعض العوام المتشبثين بعقيدتهم وسيلة و أن المرء فيه مستخلف إذ يقول المثل :

– " **المَالْ مَالْ رَبِي وْ انْتَ عَسَّاسْ عْلِيهْ** "

و الفلسفة الشعبية تحث على عدم السرقة و الاختلاس إذ يقول المثل :

– " **مَالْ النَّاسْ لَلْنَاسْ** "

– " **اللِّي عَبَّى لَكْ خَبَّى لَكْ** "

– " **اللِّي مَاهُوَ لِيكْ غِيْر يْعَيِّيكْ** "

و الفكر الشعبي يعتقد أن العلاقات المالية بين أفراد المجتمع تقوم على الأخذ و العطاء ، و بين هذا و ذاك يتحرك المال في اتجاهات كثيرة و على هذا الأساس يوجد الدائن و المدين و هو أمر طبيعي يوجد حيث تكون العلاقات المالية ، لكن المجتمع الشعبي يعرف جيدا جملة المشاكل المترتبة عن مثل هذه التبادلات أو العلاقات في ميدان المال ، و تحدث كثيرا عن ذلك في أمثاله الشعبية فقال :

– " **السْلَفْ يْرَبِيّ العْدَاوَة** "

و ذلك لما يتبعه من تأخر في السداد و يقول أيضا :

- " **الدِّينْ مْسَوَّدْ الخَدِّينْ** "

و يقول المثل الشعبي في تلمسان على لسان الفقير الذي يتذمّر من المشاكل المادية و لا يستطيع مواجهتها :

- " **الله يَنْعَلْ بُو المَسْكِينْ مَنَّ حتَى الفَاسْ**[1] "

- "**الله يَنْعَلْ بُو الزَلْطْ** "

- " **قَلَّتْ الشِي تْرَشِي وَ تْرَدْ الكَبْشْ حَوْلِي** "

- " **الخَيرْ يْلَلَّشْ وَ الهَمْ يْكَمَّشْ** "

تتبين من خلال هذه الأمثال قيمة المال في حياة الناس و أثر الفقر السيئ على حياة الفقراء و نفسياتهم .

أما التجارة في المجتمع الجزائري فذات شأن عظيم ، ذلك أن فكرة رسخت في نفوس أفراده و هي فكرة دينية أساسا مقتبسة من مأثور رسول الله صلى الله عليه و سلم مفادها أن تسعة أعشار الرزق في حوزة التجارة .

و مهما يكن من أمر ، فإن العامي الجزائري يعرف أنه من المستحيل أن يكون أفراد المجتمع جميعهم تجارا ، بل الواقع أن الله تعالى وزّع الأرزاق درجات و كلّ قد خصّه بعمل لائق به[2]

---

[1] - فاس : مدينة في المغرب الأقصى

على أن التجارة نفسها يختلف مدخول أصحابها من واحد لآخر ، يقول المثل :

- " **الحْوَانَتْ مَتْسَامِيَة وَ الأَرْزَاقْ مَخْتَالْفَة** "

- " **كُلْ وَاحَدْ رَزْقُه عْلَى الله** "

و اهتم المثل الشعبي بتوجيه النصح للمشتري ، فأوصاه بشراء البضاعة الجيدة و الابتعاد عن الرديئة و إن كانت زهيدة الثمن فيقول :

- " **اللّي غْوَاكْ رَخْصُه ، خَلّي فِي السُّوقْ نَصُّه**[1] "

و الفكر الشعبي يركز دائما على الجودة و إن قلت الكمية فيقول :

- " **نَحْلَة خِيرْ مْنَ شْوَارِي دَبَّانْ** "

و يوجد في المجتمع صنف من الناس همهم الوحيد جمع الثروة بشتى الطرق سواء كانت شرعية أو غير شرعية ، لذلك نلاحظ هذا الصنف من الناس يصرح بكل جرأة :

- " **الْعَبْ لْعُوبَكْ وَ أحْظِ جْيُوبَكْ** "

و ما دمنا بصدد الحديث عن التجارة و ما تتعلق به من مال ، ينبغي لنا بيان نظرة العامي إلى التجارة التي يشترك فيها اثنان أو أكثر .

---

[2]- أحمد شعلان - الشعب المصري في أمثاله الشعبية - ص 256

[1] - نَصُّه : نصفه

إنّ المثل الشعبي يحذر من ذلك فيقول :

- " **الشَّرْكَة هَلْكَة** "

لأن الاشتراك في عمل ما ، غالبا ما يؤدي إلى الشجار و التخاصم فتنجرّ عنه المشاكل و في هذا المجال يقولون أيضا :

- " **خَبْزَةْ عَشْرَة مَا تْطِيبْ ، وْإِذَا طَابَتْ تَنْحْرَقْ** "

فعلى الرغم من فائدة الجماعة غالبا ، إلاّ أنّ أحيانا ذلك النقاش الذي يشتد قبل التوصل إلى رأي يضيّع كثيرا من الوقت و يبذّر كثيرا من الجهد الفكري ، فتفقد الثمرة المرجوة .

و من أمثالهم التي يتحدثون فيها عن الشريك الدعي الذي يريد أن ينتمي إلى عمل لا مشروعية له فيه ، أو يسطوا على شيء مكتسب ليس له فيه حق قولهم :

- " **دَخَّلْتُ يَاكُلْ الفْرِيكْ ، رْجَعْ لِي شْرِيكْ** "[1]

[1] - عبد الملك مرتاض - الأمثال الشعبية الجزائرية - ص 21

- **الحرف**

إن نسبة الأمثال العامية الجزائرية المتداولة في تلمسان و المتعلقة بالحرف تعد ضئيلة مقارنة مع مثيلتها المرتبطة بالزراعة و شؤونها و يعود ذلك إلى طبيعة المجتمع الجزائري التقليدية التي تجعله يبني اقتصاده على الزراعة و من هنا نلاحظ أن الأمثال الخاصة بالحرف ، غير الزراعية جاءت قليلة و متناثرة و منها قولهم :

- " **انْجَرْ وْ قِيسْ** "

- " **الخَيَّاطْ مَا تْجِي عْلَىَ يْمِينُو وَلاَ عْلَىَ يْسَارُو** "

فالمثل الأول يتبين من عباراته أنه مرتبط بحرفة النجارة حيث ينصح ممتهنها بالاحتراس عند مزاولة عمله في قطع و نجر الخشب لأن عدم الانتباه في ذلك قد يتسبب في أخطاء مكلفة ، لا يمكن إصلاحها أو تداركها .

أما المثل الثاني المتعلق بحرفة الخياطة التقليدية فيحمل تنبيها مهما يخص الأخطار المحدقة بالشخص المتردد على الخياط باعتبار أن هذا الأخير يستعمل في عمله إبرا حادة و كثيرا ما يلوّح بها يمينا و يسارا بحكم طبيعة عمله ، و قد يصيب الجالس بجانبه و هو غافل عن ذلك .

و قد اهتمت الأمثال بالمهن على أنها أشكال مختلفة من العمل و سجلت هذا الاهتمام سلبا و إيجابا .

على أن المثل الشعبي قد لام كثيرا بعض المهنيين المحرومين من ثمار مهنهم ، فهناك الخضار الذي يبيع الخضر و الفواكه و هو محروم من هذه الخيرات بسبب البخل فيقول المثل :

– " **خَضَّارْ وْ يَتْعَشَّى بَوْرَاقْ اللَّفْتْ** "

و انصب اهتمام المثل الشعبي على الإسكافي الذي يحرم نفسه من لبس الحذاء يقول المثل :

– "**اسْبَابْطِي[1] وْ يَمْشِي حَفْيَانْ** "

كما يؤاخذ المثل الشعبي الشخص الذي يغيّر المهن باستمرار لأن مآله الخيبة و الضياع فيقول المثل :

– " **كْثِيْر الصْنَايَعْ يَبْقَى بْلاَ صَنْعَة** "

إذ يجب على الإنسان أن يحصر جهوده و يتحكم في مستقبله المهني ليتمكن من تنظيم حياته و تحقيق غاياته أما إذا توزعت اهتماماته بين عدة حرف فقد تتشتت طاقته و تتبعثر أهدافه و لا يستطيع امتلاك ناصية أي منها ، فيتيه و يضيع مستقبله ، و هذا ما حذر منه مضمون المثل .

و حسب المنظور الشعبي ، الخير كل الخير في الإنسان الذي يعمل و يتمسك بعمله و لو كان أجره زهيدا يقول المثل :

– " **بَالرْطَلْ وْ لاَ تْعَطَّلْ** "

---

[1] – اسْبَابْطِي : إسكافي

و ظروف الحياة و مشاكلها تعلم الإنسان أمورا تقترب من المهن إلى حد ما و تجعله في مأمن من أنياب الزمان و خطوبه ، يقول المثل :

- " **الجُوعْ يْعَلَّمْ السْقَاطَة وْ العْرَى يْعَلَّمْ الخْيَاطَة** "

و لقد اعتنى المثل الشعبي في فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ببعض المهن التي كان لها الفضل في كسب الرزق و لقمة العيش و هي الحرص على جلب المال كيفما كانت المهنة و النسيج يقول المثل :

- " **حَرْصِي وَ لاَ مَدَّرْسِي وَ لاَ مَتْعَلَّمْ الدّْرَاز**[1] "

[1] - الدّْرَازْ : النسيج

2- التدبير المنزلي و الادخار

الادخار ظاهرة من الظواهر الاقتصادية الموجودة عند الإنسان ، و حتى عند بعض الحيوانات ، و هي ظاهرة تفرضها طبيعة الحياة و مقتضياتها .

و للادخار وجوه متعددة ، فقد يكون الشيء المدخر قوتا أو ذهبا أو نقدا أو ما إلى ذلك مما يمكن أن يفيد الإنسان عند الحاجة أو الضرورة .

و بما أن الأوساط الشعبية الجزائرية قد نظرت إلى الادخار بعين الرضا و التقدير و اعتبرته سلوكا اقتصاديا سليما و مفيدا ، فقد حثت عليه و دعت إلى اتخاذه سبيلا لاتقاء مشاكل الزمن و ذلك بأمثال متعددة منها :

- " **كِكُنْتْ أَنَا نْطَمَّرْ ، أَنْتَ كُنْتْ تْزَمَّرْ** "[1]

يعتبر هذا المثل في الأصل ، خلاصة حكاية تروى على ألسنة الحيوان و هي حكاية " النملة و الصرصور " و قد صارت مثلا يدرب لكل مستهتر لا يبالي بالتفكير في المستقبل و لا يحتاط لعواقبه فإذا وقع في الضائقة ، فزع إلى غيره ممن وفّر و ادخر طالبا منه الإعانة و المساعدة .

و من أمثال هذا الموضوع قولهم :

- " **اللِّي مَا يَقْرَا لَلْزْمَانْ عْقُوبَة مَا يَعْبَا حَتَى يْجِي مَكْبُوبْ** "

[1] -قادة بوتارن-الأمثال الشعبية الجزائرية-ترجمة عبد الرحمان حاج صالح-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر ص194

– " اللّي مَا يْخَلّي مَنْ عْشَاهْ لَغْذَاهْ ، يَتْشَقَّاوْا فِيهْ اعْدَاهْ "

المثل الأول ينصّ على أنّ من لا يحسب الحساب اللازم لتقلّبات الزمن ، قد يقع فيما يكره و هو لا يشعر ، و لاجتناب مثل هذا الموقف غير المرغوب فيه لابد من الحذر لمواجهة تقلبات الدهر التي لا ترحم .

أما مضمون المثل الثاني فإنه يدور في سياق المعنى السابق نفسه حيث ينصح باجتناب التبذير و التفكير في التوفير للمستقبل .

و الأمثال العامية في منطقة تلمسان لا تقتصر نصائحها على ادخار الأطعمة فحسب بل تحث على ادخار المعادن النفيسة أيضا للانتفاع بثمنها عند الحاجة و من ذلك قولهم .

– " الحْدَايَدْ[1] لَلْشْدَايَدْ "

فالمعني المقصود في هذا المثل هو التنبيه إلى أهمية شراء الحلي الثمين في وقت الرخاء و تركه كذخيرة لوقت الحاجة ، فالدهر لا يؤمن جانبه و الاحتياط لذلك ضرورة تمليها ظروف الحياة .

و لتدريب الفرد الجزائري على الادخار و تشجيعه عليه ، هناك مثل متداول في تلمسان خاصة يحث على مثل هذا السلوك الاقتصادي مهما كانت قيمة الشيء الموفر ، و هذا المثل يقول :

– " فْلِيسْ[2] عْلَى فْلِيسْ يْعَمَرْ كْوِيسْ[3] "

[1] – الحْدَايَدْ : الحلي المصنوعة من الذهب

فمصطلح " فليس " رغم كونه أصغر وحدة نقدية في زمن تداوله ، إلا أن الحكيم الشعبي نصح بعدم الإستهانة بقيمته ، فأول الغيث قطرة كما يقال ، إذ بتجمع هذه الوحدات النقدية البسيطة تتشكل الثروة المعتبرة التي يمكن أن تعود على مدخرها بالنفع .

و اتباع سبل التوفير و الادخار لا يعني في العرف الشعبي المبالغة في التقتير إلى درجة البخل ، بل لابد من إقامة التوازن المطلوب و المنسجم مع الخلفية الدينية التي تدعوا إلى الإيمان بكرم الله سبحانه و عطائه و التفاؤل بمجيء رزقه و نعمه .

و يتجلى هذا الاعتقاد في المثل الذي يقول :

- **" ادْفَعْ مَا فِي الجِيبْ ، رَبِي يْجِيبْ "**

في هذا المثل حثّ على الإنفاق و البذل و تعريض صريح بالجامعين المانعين ، فحسب هذا المثل يجب علينا أن ننفق مما رزقنا الله ، فنوسع على الأسرة و نركن إلى التفاؤل .

و عموما نلاحظ أن الذهنية الشعبية الجزائرية مشدودة دوما إلى المرجعية الإسلامية القائمة على مبدأ الوسطية و الاعتدال في كل الأمور فلا

---

[2] - فْلِيَسْ : تصغير لكلمة فلس ، و الفلس وحدة نقدية

[3] - كْوِيَسْ : تصغير لكلمة كأس

إفراط و لا تفريط مصداقا لقوله تعالى " **وَ الذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ، لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يُقْتِرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** "[1]

من أوجه السلوك الاقتصادي عند الإنسان نجد التدبير المنزلي الذي ينبه الفرد إلى الطرق التي تساعده على قضاء حوائجه و تصريف أموره بأقل تكلفة ممكنة .

و نظرا للأهمية الاقتصادية التي يمثلها التدبير المنزلي في حياة الفرد و الأسرة أولى الحكيم الشعبي هذا الجانب ما يستحقه من العناية حيث صاغ العديد من الأمثال لتعليم أفراد المجتمع بعض القواعد المرتبطة بهذا السلوك الاقتصادي المفيد .

و من بين الأمثال الشعبية الجزائرية المتداولة في تلمسان و التي تحث على التدبير المنزلي قولهم :

- "**اللِّي مَا رَقَّعْ مَا لْبَسْ** "
- " **سَلَّكْ بَالْهَرْكَاسْ**[2] **حَتَى تْصِيبْ الصَبَّاطْ** "
- " **بَاتْ بْلاَ لْحَمِ ، تَصْبَحْ بْلاَ دِينْ** "
- " **مَا تْهَرَّقْ مَا حَتَى تْصِيبْ مَا** "

---

[1] – الآية 67 من سورة الفرقان

[2] – الهَرْكَاسْ : الحذاء البالي

يتبين من عيّنة هذه الأمثال أنها تشتمل على عدة إرشادات تخص التدبير المنزلي حيث يشير مضمون المثل الأول إلى أنّ الشخص المقتصد هو ذلك الذي لا يتهاون في ترقيع ملابسه ليحافظ على ارتدائها أطول مدّة ممكنة و لا يستغني عنها لمجرّد فتق بسيط فيها و يسعى إلى اقتناء كل ما هو جديد لأن مثل هذا التصرّف يعد مظهرا من مظاهر الإسراف و التبذير التي تأثر سلبا على مدخول الفرد و الأسرة معا .

المعنى نفسه نستشفه في المثل الثاني الذي ذكر أنه لا عيب في لبس الحذاء البالي " الهركاس " إلى أن تتحسّن ظروف الشخص و يتمكن من اقتناء الحذاء الجديد " الصباط ".

أما المثل الثالث فينصح الإنسان بكبح شهواته و لو إلى حين حتى يجنب نفسه الوقوع في مستنقع الديون و تبعاته .

بينما المثل الرابع يتعرض لمادة الماء الذي يعدّ من عناصر الحياة الأساسية ، و ينصح بحسن استعماله و بعدم التفريط فيه مهما كانت كميته . و هذا المثل كثيرا ما يستعمل في غير معناه الحقيقي ، إذ أنه يضرب في كل المواقف المشابهة التي تتطلب عدم التفريط فيما هو موجود إلا بعد ضمان الحصول على ما هو غير موجود .

و إذا عدنا قليلا إلى الوراء نجد " أنّ تباعد الدور و تناثرها هنا و هناك في الريف الجزائري على عهد الاستعمار الفرنسي و قبله ، ثم صعوبة المواصلات طورا و انعدامها طورا ثانيا ، ثم قساوة الطبيعة التي تتعلق طورا بالتضاريس نفسها و طورا بالجو الخارجي ... كل أولئك عوامل

جعلت من السيدة الريفية و أكثر منها البدوية ، امرأة مقتصدة تحسن التدبير المنزلي و تتقن بعض الصناعات التقليدية التي تساعد بها زوجها إما في البيت و إما في الحقل ... من أجل ذلك ألفينا حكيمهم الشعبي يقول :

- " **السِّيْن وَ الصَّادْ ، كَايَنْ اللِّي عَنْدُه امْرَاه ، وْ كَايَنْ اللِّي عَنْدُه مَشِينَة انْتَاَع الحْصَادْ** "[1]

حسب هذا المثل الرجل اثنان : رجل حظي بامرأة مدبّرة مقتصدة تحسن التصرف في القليل فيصبح كأنه كثير ، و رجل ثان مني بامرأة مبذرة ، تضيع كلّ شيء في البيت حتى كأنها آلة حصاد نلتهم كلّ شيء تجده في طريقها .

و نجد التدبير المنزلي يتخذ ألوانا من الصور في الأمثال الشعبية الاقتصادية كقوله :

- " **مَدْ رَجْلِيكْ قَدْ حْصِيرَكْ** "

- " **العْشَا حْدُورَة** "

- " **البَرَكَة فِي القْلِيلْ** "

و من الأمثال التي تبدي فيها الذهنية الشعبية حرصا شديدا على الادخار و حسن التدبير المنزلي قول حكيمهم :

- " **عْشَا لِيلَة ، يَقْلَعْ حِيرَة** "

[1] - عبد الملك مرتاض - الأمثال الشعبية الجزائرية - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ص 45

هذا المثل يحض الناس على حسن التدبير و الإقلاع عن التبذير حيث أن قوت ليلة واحدة قد يغني الأسرة في أيام الضيق

- " **الدرهم الأبيض ينفع في اليوم الأسود** "

و يشبه هذا المثل قول حكيمهم أيضا

- " **كُلْ وْ بَقِّ ، وْ خَلِّ لِلْزْمَانْ مَا تَلْقِي** "

كما نجد أن الحكيم الشعبي يقرّر قاعدة اقتصادية و يحذر من الخروج منها فيقول :

- " **إِذَا كَانْ المَدْخُولْ خْمَاسِي وَ المَخْرُوجْ سْدَاسِي ، خَلِّي مُلاَهْ يْسَاسِي** "

فهذا المثل يتحدث بدقة عن الميزان الاقتصادي للأسرة و يقرّر إفلاس كل الذين تكون نفقاتهم أكثر من مداخيلهم لأن النفقة السليمة هي التي تساير المرتب الشهري أو الدخل العام للأسرة .

" و هذه القاعدة الاقتصادية لا تمسّ الميزان الاقتصادي للأفراد و الأسر و الجماعات وحدها و إنما يجوز تعميم ذلك حتى يشمل الشعوب و نظام الدول ، فلا تبرح دول العالم الثالث تعاني الأمرّين في تسوية هذا الميزان على نحو لا تطغى فيه الواردات على الصادرات ، فيفضي ذلك إلى خلل و عجز في الميزان التجاري للدولة "[1]

[1] - عبد الملك مرتاض - المرجع السابق - ص 49

و على أساس ما سبق يتّضح أنّ الأمثال المذكورة المرتبطة بموضوع الادخار و التدبير المنزلي تشكّل في مجملها توجيهات و نصائح اقتصادية ، الهدف منها تربية الفرد و إرشاده إلى التصرفات الجادة التي تكسبه سلوكا اقتصاديا سليما يعود عليه و على مجتمعه بالفوائد المرجوة .

الفصل الخامس

دراسة مقارنة للأمثال الشعبية

المتداولة في منطقة تلمسان

* توطئة للمقارنة

1- مقارنة بعض الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان ببعض الأمثال العراقية

2- مقارنة بعض الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان ببعض الأمثال الإنجليزية

الفصل الخامس : دراسة مقارنة للأمثال الشعبية

* توطئة للمقارنة

أحاول في هذا الفصل القيام بدراسة مقارنة للأمثال الشعبية ، و تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين ، أما القسم الأول ، فيتضمن دراسة مقارنة على مستوى العالم العربي و تتمثل في مقارنة الأمثال الشعبية الجزائرية المتداولة في تلمسان بالأمثال العراقية ، بينما القسم الثاني يتضمن دراسة مقارنة على المستوى العالمي و تتمثل في مقارنة الأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان بالأمثال الإنجليزية .

و قد دفعني للقيام بهذه الدراسة ، ذلك التشابه الكبير الذي يظهر جليا بين الأمثال من كلتا الثقافتين .

إنّ التشابه وارد بين كل الثقافات الإنسانية ، و خاصّة بين تلك الثقافات التي قد التقت فيما بينها في فترة من فترات التاريخ و ذلك تحت وقع و إيقاع أسباب و مسببات ثقافية ، دينية ، سياسية ، اجتماعية ، جغرافية ، اقتصادية و بشرية .

و قبل البدء في هذه الدراسة المقارنة ، لابد من تحديد الإطار المرجعي و المعرفي الذي سوف أسلكه فيها . فقد عرفت الدراسات المقارنة اتجاهات مختلفة و ذلك راجع إلى اختلاف رؤى و مناهج أصحابها ، الأمر الذي أدّى إلى ظهور مدارس قائمة بذاتها ، تميّزت كل واحدة بطرح منهجي و معرفي خاص تختلف به عن المدرسة الأخرى.

أ -المدرسة الفرنسية :

كان يتزعمها في فرنسا **بول فن تيكم** ***Paul Van Tieghem*** و **قويار** ***Guyard*** و **ماري كاري** ***Marie carré*** و **كلود بشوا** ***Claude Pichois*** و **رونيه اتيانبل** ***R.Etiemble*** وقد تأثر بمبادئ و اتجاه هذه المدرسة الأستاذ **محمد غنيمي هلال** في الأدب العربي .

لقد تميزت المدرسة الفرنسية في طرحها المعرفي و المنهجي بما يلي:

- إثبات عملية التأثير و التأثر بين الموضوعين
- البحث في كيفية انتقال عنصر من أدب إلى أدب آخر
- التركيز على عامل التاريخ و زمن الانتقال
- تحديد هوية و وظيفة الوسيط

و المدرسة الفرنسية لا تجيز المقارنة إذا لم تتوفر هذه الشروط بين الموضوعين المختلفين في اللغة لأنّ الاتجاه الفرنسي تقوم فلسفته أيضا على ثلاث شروط أساسية و هي :

- الإصرار على عنصر التاريخ .
- الإصرار على ظاهرة التأثير و التأثر و الوسيط .
- الإصرار على الاختلاف اللغوي .

لقد ظلت المدرسة الفرنسية مسيطرة على الدراسات المقارنة لمدّة طويلة ، غير أنهّا لم تسلم من العيوب و النقائص ، الأمر الذي أدى ببعض النقاد و المفكرين إلى إعلان القطيعة مع هذه المدرسة و مبادئها و الثورة عليها .

و يعتبر الناقد **روني ويلك** ***René wellek*** من رواد هذا الاتجاه الجديد التصحيحي للدراسات المقارنة حيث عاب على المدرسة الفرنسية غموض المصطلح و موضوع البحث و المنهج أيضا .

ب- المدرسة الأمريكية :

كان يدعو روادها إلى تحرير الدراسات المقارنة من تلك القيود التي كبلتها بها المدرسة الفرنسية و بالتالي الدعوة إلى تغيير مجرى البحث في العلاقات بالوقائع إلى البحث في العلاقات بالنصوص ، أي التركيز على النصوص ذاتها عوض تناولها من الخارج .

و قد تميزّت المدرسة الأمريكية في طرحها المعرفي و المنهجي بما يلي :

- عدم حصر المقارنة إلا في نطاق أدبين حيث قد تتسع المقارنة لتشمل أدبين أو أكثر .

- عدم التقيد بمبدأ اختلاف اللغة حيث أجاز رواد هذه المدرسة دراسة مقارنة في إطار اللغة الواحدة أو الأدب القومي الواحد .

– عدم الاعتماد الكلي و المطلق على عملية التـأثير و التـأثر ، حيث أنّه قد يكون تشابه بين موضوعين مختلفين دون أن يتأثر الواحد بالآخر.

– تحرير البحث المقارن من دور و وظيفة الوسيط .

– تحرير الدراسة المقارنة من سلطة التاريخ .

– تفتح البحث المقارن على المناهج و المعارف الجديدة .

– توجيه الدراسة المقارنة توجيها تطبيقيا و التعامل مع النصوص أو الظواهر تعاملا داخليا مباشرا على أنها وحدة متكاملة مستقلة عن كاتبها ، لها كيانها و لغتها و نوعيتها الخاصّة .

– تحرير فلسفة البحث المقارن من مبدأ التقويم و التفضيل و الأحكام التعسفية بين النصوص و الظواهر.

لقد اعتمدت في هذه الدراسة المقارنة على المدرستين ، الفرنسية و الأمريكية معا .

ففي مقارنتي للأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان بالأمثال العراقية ، اعتمدت على المدرسة الفرنسية لأن من بين أسسها : الإصرار على ظاهرة التأثير و التأثر و البحث عن كيفية انتقال عنصر من أدب إلى أدب أخر بالإضافة إلى التركيز على عامل التاريخ و زمن الانتقال كما اعتمدت على المدرسة الإنجليزية لأنها ترتكز على عدم التقيّد بمبدأ اختلاف اللغة حيث أجاز روادها دراسة مقارنة في إطار اللغة الواحدة أو الأدب القومي الواحد .

أما في مقارنتي للأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان بالأمثال الإنجليزية فقد اعتمدت على المدرسة الفرنسية لأنّ من مبادئها الأساسية الإصرار على الاختلاف اللغوي واعتمدت أيضا على المدرسة الأمريكية لأنها حرّرت الدراسات المقارنة من سلطة التاريخ كما ارتكزت على عدم الاعتماد الكلّي و المطلق على عملية التأثير و التأثر حيث قد يوجد التشابه بين موضوعين مختلفين دون أن يتأثر الواحد بالآخر .

و بالإضافة إلى القيام بهذه الدراسة المقارنة وفق بعض أسس المدرستين الفرنسية و الأمريكية ، لابد أيضا من تعريف نظرية الانتشار الثقافي لأني ارتكزت عليها أحيانا في تعليل ظاهرة التشابه بين الأمثال الشعبية .

- نظرية الانتشار الثقافي

يرى بعض علماء القرن التاسع عشر أنّ تطور المجتمعات يوازي بعضه البعض الأخر ، لأنّ تطور أي مجتمع من وجهة نظر هؤلاء العلماء إنما يسير دائما في اتجاه واحد ، و قد تجاهلت هذه الآراء بذلك أهمية الانتشار كعامل في بناء الحضارة و قد رأت بدلا من ذلك أنّ الحضارة تتغير في أوضاع مستقلة عن بعضها عن طريق الاختراع أو الاكتشاف أو الابتكار و التجديد ، كما تفسّر ما يوجد بين الحضارات من تشابه على أنّه نتيجة لوحدة أو تشابه في العمليات العقلية للإنسان أمام الظروف أو المشاكل المتشابهة .

" أما مدرسة الانتشار الحضاري ، فإنّها ترى أنّ نماذج الحضارة غالبا ما تستعار ، و أنّ تشابه النماذج الحضارية في المجتمعات المختلفة لا يكون نتيجة التطوّر تلقائي أو مستقل و إنما نتيجة لظهور النموذج الحضاري لأول مرّة عند شعب معيّن في مكان معيّن و زمان معيّن ثم انتقاله بعد ذلك إلى المجتمعات الأخرى "[1].

- و قد ظهرت ثلاث مدارس في الدراسات الإنتشارية هي المدرسة الأمريكية و المدرسة الإنجليزية و المدرسة الألمانية .

1 - الأنثروبولوجيا الإجتماعية – د/ عبد الحميد لطفي – الطبعة الثانية 1975 – دار المعارف - ص 123

أ- المدرسة الأمريكية :

يعتبر **كلارك ويسلر** ***Clark Wissler*** من أهم العلماء الأمريكيين الذين درسوا الانتشار الحضاري ، و هو صاحب كتاب **الهنود الأمريكيين** ***The American Indian*** حيث قام بدراسة بين القبائل الهندية الأمريكية و خرج منها بمبدئه الذي أطلق عليه " مبدأ المساحة الحضارية و المساحة الزمانية " و قد اتخذ من هذا المبدأ وسيلة لتصنيف الحضارات أو بمعنى أدق لتصنيف التجمعات الحضارية بالنسبة للمناطق الجغرافية .

يرى هذا العالم أن النماذج الحضارية تظهر في مراكز معينة في أجزاء كثيرة من العالم و يعتبرها **ويسلر** مراكز نشأة الحضارة و فيها تنشأ النماذج الحضارية ثم تنتقل بالانتشار إلى أماكن محيطة بها في حدود معيّنة أي أنّها تنتقل إلى حدّ جغرافي معيّن ، و المركز الذي نشأت فيه هذه النماذج و المناطق المحيطة به ميّزها ويسلر مساحة حضارية . فالمساحة الحضارية هي المساحة التي تنتشر فيها نماذج حضارية معيّنة من مركز هذه المساحة و على ذلك فهو يؤمن بتعدد المناطق نتيجة تعدد هذه المراكز التي تنشأ في أماكن متعددة من العالم .

إذن **ويسلر** يأخذ بفكرة الانتشار ، لكن في حدود معيّنة تقتصر على منطقة أو مناطق بعينها .

ب- المدرسة الإنجليزية :

" من روّاد هذه المدرسة **اليوت سميث** ***Elliot Smith*** صاحب كتاب " **هجرة الحضارة** ***The migration of culture*** " ، و **بري** ***W. Perry*** صاحب كتاب : " **أبناء الشمس** ***The children of sun*** ". و يرى **سميث** و يتفق معه **بري** أنّ المدنية الحقّة لم تحدث سوى مرّة واحدة في التاريخ الإنساني و أنّ مصر بالذات كانت مركزا لهذا الحدوث ، ثمّ انتشرت هذه المدنية من مركزها هذا إلى أنحاء العالم الأخرى حتى ما كان منها بعيدا عن هذا المركز كالمكسيك و أمريكا الوسطى"[1] .

إذن حسب رأي **سميث** يعتبر العالم كله مساحة حضارية واحدة توضع مصر في مركزها كحضارة أساسية ، فإذا ما وجد تشابه بين المناطق المختلفة كان هذا عن طريق الهجرة و الانتشار مهما كان بعد المسافة بينها كما هو الحال في التشابه الموجود بين نماذج الحضارة المصرية القديمة والنماذج الحضارية لقبائل " **المايا** ***Mayas*** " في المكسيك و قبائل " **الأزتك** ***Aztecs*** " في المكسيك أيضا ، و يبدو هذا التشابه واضحا بنوع خاص بين الأهرامات المصرية و أهرامات المايا و الأزتك ، مما جعل " سميث " يرى أنّ حضارة المايا و الأزتك قد تأثرت قطعا بالحضارة المصرية عن طريق الهجرة و الانتشار على الرغم من طول المسافة التي تفصل بين مصر و المكسيك خاصّة في العصور القديمة حيث يضاف إلى طول المسافة صعوبة الاتصال بينهما لعدم وجود وسائل النقل و الاتصال المتوفرة حاليا .

[1] – المرجع السابق – ص 131

ج- المدرسة الألمانية :

تسمى المدرسة الحضارية التاريخية ومن روادها **وليم شميدت** ***Welhelm Schmidt*** الذي يرى أنّ الانتشار عملية ميكانيكية، ويعتبر رأي هذه المدرسة وسطا بين المدرستين السابقتين الأمريكية والإنجليزية،لأنها ترى أنّ أغلب مظاهر الحضارة الحديثة إن لم يكن كلها ترجع إلى عدد محدود من المصادر الأصلية الموزّعة في أماكن مختلفة من العالم القديم، وفي أزمنة مختلفة من العصور القديمة، ثم انتشارها بعد ذلك من مراكز نشأة هذه، وكانت بذلك سببا بطريقة أو بأخرى في نشأة الحضارات المتأخّرة. ويعتبر رأيها وسطا لأن المدرسة الأمريكية ترى أنّ المظاهر الحضارية قد نشأت تلقائيا في مناطق عديدة من العالم هي المساحات الحضارية بينما ترى المدرسة الإنجليزية أن النشأة التلقائية لم تحدث سوى مرّة واحدة، في الوقت الذي ترى فيه المدرسة الألمانية أن هناك عددا محدودا من المصادر الأصلية، هذا وتربط المدرسة الألمانية بين وحدة الانتشار ووحدة التاريخ بمعنى أنّ وجود نموذج معين في مكانين مختلفين يدل على تعاصر هذين المكانين تاريخيا .

بعد استعراض آراء مدارس الانتشار الحضاري الثلاث، الأمريكية والإنجليزية والألمانية يتضح أنّه على الرغم من اختلاف آراء هذه المدارس حول طريقة الانتشار إلا أنها تتفق كلها في التركيز على الانتشار كعامل في بناء الحضارة كما أنها تتفق أيضا في معارضتها لمدرسة التطوّر الحضاري في أنّها تعتبر التاريخ هو العامل الأساسي لتفسير المظاهر الحضارية و أنّ أيّة حضارة لا يمكن فهمها إلا إذا عرف تاريخها أو أمكن تخيله على الأقل .

1- مقارنة بعض الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان ببعض الأمثال العراقية

يعتبر المثل الشعبي كنزا فريدا من نوعه ، و مادة غنية بالمعطيات التي تساهم في التعرّف على روح الشعوب و مدى تجانسها و تقاربها .

و بعد دراستي للأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان وجدت أنّها تتشابه إلى حد بعيد مع الأمثال المتداولة في باقي المدن الجزائرية ، بل أنّها في بعض الأحيان تكاد تكون هي نفسها مع اختلاف طفيف في نطق بعض الحروف " كالقاف " التي تنطق " ألفا " في تلمسان و " قافا " في مدن أخرى ، كما أنني لاحظت أن الأمثال المتداولة في تلمسان تشبه كثيرا الأمثال المتداولة في المغرب الأقصى و يفسّر ذلك بتقارب المنطقتين جغرافيا ، ففضلت أن أقوم بدراسة مقارنة بين الأمثال المتداولة في تلمسان و الأمثال العراقية ، لأن رغم البعد الجغرافي بين الجزائر و العراق إلاّ أنّ كثيرا من الأمثال العامية الجزائرية تشبه الأمثال العراقية إلى حد بعيد .

و هذا دليل على مدى تآخي الشعبين العربيين و تلاحمهما منذ أن جمعنا الإسلام و اللغة العربية .

و الهدف الأساسي من هذه المحاولة هو سبر مدى الاتصال الفكري و العاطفي بين الشعبين العربيين الجزائري و العراقي .

إنّ للمثل الشعبي بلاغة وسحرا عجيبين قد لا يجتمعان في غيره من فنون التعبير على اختلاف وسائلها وتباين مناحيها، إذ نجد فيه تجربة أجيال بكاملها، كما نطلع من خلاله على عالم من الذكاء الحاد والنظرة الصائبة،

بالإضافة إلى كونه مصدرا من مصادر الدراسة النفسية و الاجتماعية و اللغوية لا يعوضها غيرها من المصادر و المراجع .

و قد صدق أبو نصر الفارابي عندما قال في تعريفه " المثل ما ترعاه العامة و الخاصة في لفظه و معناه حتى ابتذلوه فيما بينهم و قنعوا به في السرّاء و الضراء و استدروا به الممتع من الدر و وصلوا به إلى القصي من المطالب ، و هو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر من الجودة و غير بالغ المدى في النفاسة ".

و يقول **أرثر تايلور الأمريكي** ***Arthur Taylor*** في هذا الموضوع " المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية يوحي في غالب الأحيان بعمل من الأعمال ، أو هو يصدر حكما في وضع من الأوضاع " .

و مما لا شك فيه أن قدرة المثل على أداء هذه المهمة التعليمية ناتج بالدرجة الأولى عن الإيقاع الموسيقي الذي يمتاز به المثل ، بالإضافة إلى أنّ سجعه يزيده قوة كقولنا في تلمسان :

– " **اللّي فَاتَكْ بْلِيلَة ، فَاتَكْ بْحِيلَة** "

و كقول العراقيين :

– " **اللي ما يعرف تدابيره ، حنطته تاكل شعيره** "

و ليست هذه الموسيقى مما يلزم المثل ، فمنه قولنا في تلمسان :

– " **رَبِي يَعْطِي اللْحَمْ لَلِي مَا عَنْدُوشْ السْنَانْ** "

و هو شبيه بالمثل العراقي :

– " **الله يعطي جوز إلما عنده سنون** "

و معلوم أنّ اللحم و الجوز لا يفلح في أكلهما إلا من رزقه الله أسنانا قويّة و أضراسا متينة و ليست هذه حالة كل الناس .

أما من حيث اللغة التي يصاغ بها المثل ، فأغلبها دارج و إن لم يخل الأمر من أمثال فصيحة أو قريبة من الفصحى كقول المواطن في تلمسان :

– " **ضْرَبْنِي وَ بْكَى وَ سْبَقْنِي وَ اشْتْكَى** "

و قول العراقي في نفس الباب و بنفس العبارة تقريبا

– " **ضربني و بكى و سبقني و شكى** "

" علما بأننا في المغرب العربي عموما نسكن كثيرا من الحروف فتبدو لغتنا سريعة . و في كلتا الحالتين نرى أن المثل فصيح لم يلحقه إلا تغيير طفيف في النطق ناتج عن تسكين بعض الحروف التي كانت متحرّكة في الأصل كالسكون في كلمة " **ضْرَبْنِي** – **سْبَقْنِي** " أو واو العطف التي تختلط فيها الضمة بالسكون ، فكأنهم ينطقون بأول الحرف حين تمتد الشفتان إلى الأمام و تدوران مضيقتين استعدادا للنطق بالواو منصوبة ، في حين أن سرعة اللهجة الدارجة تكاد تسكنها و لهذا قلنا إنّ الضمة تختلط بالسكون في واو العطف في المثل المذكور سابقا .

و الـذي يمكـن ملاحظتـه فـي هـذا البـاب أيضـا أنّ الدخيـل (الفارسي- التركي - الفرنسي - الإنجليزي) الذي يوجد في كثير مـن لهجاتنـا الدارجة لا يكاد يظهر إلا نـادرا فـي المثل الشعبي ، و هذه ظـاهرة صحيـة تبرهن على مدى محافظة الطبقات الشعبية على صفاء لغتها العربيـة ، فهـي تعتبر المثل كنزا حضاريا لا يمكن أن يلحقه مـا قد يلحق اللغـة اليوميـة مـن عجمة أو تغريب أو تحريف .

و يمكن أن نضيف إلى هذا و ذاك كون المثـل يخضـع مـن حيـث لغتـه دائما لما قد نصطلح عليه بالجهوية و هي أضيق من الإقليمية حيث تجد نفس المثل على شكلين مختلفين : فالحرف الواحد قد يتغيّر من مدينة إلى محافظـة و من ذلك القاف التـي تنطـق " ألفـا " و " الظـاء " التـي تنطـق " طـاءا " فـي تلمسان .

الكلمة قد تعوض بمرادف لها ، فيبقى المعنى قائما و لكن الشكل العـام للمثل يتغير بعض التغير كقولهم في العراق :

- " **يسوي من الحبّة كبّة** "
- " **يسوي الحباية كباية** "

و شبيه به قولنا في تلمسان :

- " **يَعْمَلْ مْنَ الحَبَّة قُبَّة** "
- " **عَامَلْ مْنَ الحَبَّة قُبَّة** "

فالملاحظ أن الكلمة الثالثة في المثل العراقي قد فرض شكلها نغم الكلمة السابقة عليها (كباية ← حباية ، كبة ← حبة) بينما في المثل الجزائري المتداول في تلمسان عوض المضارع (يعمل) باسم الفاعل (عامل).

و السؤال المطروح هنا : ما السبب في هذا التغيير الجزئي أو الكلي للمثل ؟

لا شك أنّ السبب الرئيسي يعود إلى كون المثل الشعبي ينتقل عن طريق الرواية الشفوية التي تعتمد أولا و آخرا على الذاكرة التي يعتريها ما نعلم من ضعف أحيانا ، فيظن الرّاوي للمثل أنه ينقل بكل أمانة ما سمعه في حين أنه ربّما بدون قصد ، يكون قد غيّر كلمة بأخرى أو عبارة بثانية و لا ربما يقصد الراوي هذا التغيير أحيانا اعتقادا منه أنّ ما يحذفه من الكلمات و ما يغيّره من العبارات إنما هو تصحيح للمثل أو زيادة في فصاحته و دقته.

بالإضافة إلى ذلك قد يتدخل في مرحلة ما العامل الجهوي و الإقليمي في إحداث مثل هذا التغيير حيث تكون إحدى كلمات المثل الوارد من جهة أخرى أو إقليم آخر غير متداولة في البيئة الجديدة أو غير مستساغة فيلجأ الناس بفطرتهم إلى استبدالها بما يعهدونه أو يستسيغونه من المرادفات .

و المهم لدينا في هذا الباب أن الأمثلة الشعبية المنقولة عن الأمثلة الفصيحة أقل تعرضا لمثل هذه التأثيرات لأنها تنقل تقريبا بصيغتها الأصلية كقولنا في المشرق و المغرب على السواء :

- **" العين بصيرة و اليد قصيرة "**

كما يمكن دراسة المثل الشعبي من الوجهة التاريخية ، حيث نرى بعض الأقوال المأثورة التي تكاد ترقى إلى مصاف الأمثال تسجل حوادث مهمة أو تذكر بأبطال مشهورين ، ففي العراق يقولون فيمن يتشبث بأمر ما و لا يرضى عنه بديلا :

- " **متشلب بشباك الحسين** "

و يقولون في من يأبى الضيم " تهون يا زوبع ، لو حبس ، لو جزي ".

و كلا القولين يسجل حادثة تاريخية معروفة في العراق : الأولى إشارة إلى استشهاد الحسين في كربلاء و الثانية تذكر بانتصار عشيرة زوبع العراقية على الجنرال الإنجليزي "لينشمين" في العشرينات . و في تلمسان نقول :

- " **يْلاَ انْتَ البَايْ أَناَ شْلاَغْمُوا** "

فهذا المثل الشعبي يشير إلى مرحلة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر و هي مرحلة البايات العثمانيين الذين حكموا الجزائر في العهد العثماني .

كما يقول المثل الشعبي :

- " **صْلاَةْ القِيَادْ الجَمْعَةْ وْ لاَّ الاَعْيَادْ** "

و هذا المثل يذكرنا بالقايد الذي كان عميلا للفرنسيين يساعدهم على بسط نفوذهم في الجزائر و يمكنهم من السيطرة على الأهالي ، فهذا القايد كان يرتدي البرنوس و يتظاهر بالتدين أمام الأهالي لكي يتبعونه و يستجيبوا لمطالبه .

إن هذه المقارنة رغم بساطتها فهي تؤكد حقيقة أن محلية الفلكلور لا تلغي وحدة الفلكلور العربي و إنما هي تأكيد لهذه الوحدة رغم البعد الجغرافي .

كما أنّ المقارنة و الموازنة بين الأمثال الشعبية وسيلة ناجحة لتجديد العهد بين شعوبنا العربية التي باعدت بينها ظروف الاستعمار و الإمبريالية و لكن جمعتها وحدة العقيدة و اللغة و الكفاح ، فالإسلام و اللغة العربية و المصير المشترك كلها عناصر مشتركة توحد الدول العربية و تجعلها أمة واحدة .

الجدول التالي عبارة عن مقارنة بين بعض الأمثال العراقية و الأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان .[1]

الرقم	الرمز	المثل و مفهومه	شرح لغوي
1	ع ت =	الله يعطي جوز الما عنده سنون ربي يعطي اللحم للي ما عندوش السنان التحسر على من لا يحسن التصرف في نعمة من نعم الله تعالى	الما : للذي
2	ع ت =	عيبت البصلة على الثومة المذبوح يعيب على المسلوخ و المعلق يقول : الله ينجينا ينظر بعض الناس لعيوب غيرهم و ينسون عيوبهم	
3	ع ت =	ضربني و بكى و سبقني و اشتكى ضربني وبكى و سبقني و اشتكى البادئ أظلم ، لكنه قد يقلب الآية فيتظلم	
4	ع ت =	ناس تاكل دجاج و ناس تتلقى عجاج مول العرس يتعرس و الأحمق يتهرس يضرب لمن يصاب بمصيبة لا ناقة له فيها و لا جمل	

[1] – ملاحظة : (ع : عراقي) – (ت : تلمساني) – (= : مفهوم المثل و مناسبته)

5	ع ت =	القرد بعين أمه غزال كل خنفوس عند أمّه غزال يضرب فيما أشار إليه الشاعر : و عين الرضا عن كل عيب كليلة	تقلب هاء الغائب واوا في الغالب
6	ع ت =	الطول طول النخلة ، و العقل عقل الصخلة الزين زينك و العقل نشريه لك يتفق هذان المثلان في المعنى مع المثل الفصيح الذي يقول "أجسام البغال و عقول العصافير"	الصخلة : أنثى الماعز
7	ع ت =	لا حظت برجلها و لا خذت سيدي علي اللي بغاها قاع خلاها قاع التأكيد على أن الطامع يخرج دائما صفر اليدين	لا حظت : ما حظيت بغاها : أحبها قاع :كلها
8	ع ت =	يحضر المعلفة قبل الحصان سبق الحطب قبل ما يخطب في سوء تدبير الأمور و قلبها رأسا على عقب	

9	ع ت =	اللي قتل الحية يخاف من مسحالها اللي عضه الحنش يخاف من الحبل يضرب لمن يصاب مرّة ، فيصبح شديد الحذر و الريبة حتى يظن الحبل حية سامة	مسحال : أثر الحية على الرمل
10	ع ت =	راد يكملها عماها جا يكحل لها عماها في من يدعي الإصلاح فيزيد الأمور تعقيدا	راد : أراد جا : جاء
11	ع ت =	من سكوتي موتي و من المطقطق فوتي فوت على الواد الهرهوري و لا تفوت على الواد السكوتي يضرب لمن يكثر صراخه و كلامه لكنه لا يضر	الهرهوري : الذي يصدر صوتا
12	ع ت =	صام عاما وفطر على جرية صام عام و فطر على جرادة في من ينتظر كثيرا حتى إذا أنتج كانت النتيجة هزيلة لا تسمن و لا تغني من جوع	

13	ع ت =	يوشي يوشي و من جوا قمل محشي يا المزوق من برا ، واش حالك من الداخل يضرب لمن يعجبك منظره الخارجي ، لكن سريرته منفرة لوسخ أو دناءة أو ما شابه ذلك	يوشي : من الوشي و التنميق محشي : ممتلئ برا : الخارج
14	ع ت =	كل شاة تعلق من كراعها كل شاة تتعلق من كراعها يضرب في معنى المسؤولية الشخصية و تحمل عواقب الأعمال و هو قريب من الآية الكريمة "كل نفس بما كسبت رهينة "	الكراع : الرجل
15	ع ت =	مال الخسيس ياكله الفطيس اخدم يا الناحس للناعس يضرب في المال المكتسب بغير حق فيذهب هباء و في هذا حث على مراعاة جانب الأخلاق و القانون في مجالات الكسب و المعاملات	
16	ع ت =	ما حد يقول : لبنه حامض مول الفول يقول طيّاب في امتداح النفس والعشيرة و تغطية عيوبها	طيّاب : ممتاز للطبخ

17	ع ت =	من هاذ الدكة ماكو فكة اللي دارها بيديه يفكها بسنّيه يضرب في صعوبة و استحالة إيجاد حل لمشكلة و أنّ مسببها يجب أن يجد الحل و يتحمّل المسؤولية يتفق من المثل الفصيح القائل : "يداك أوكتا و فوك نفخ "	ماكو : ما للنفي كو : يوجد سنّيه : أسنانه
18	ع ت =	يسوي من الحباية كباية = يسوي من الحبّة كبّة يعمل من الحبّة قبة يضرب في المبالغة في الأمر التافه و تهويله	
19	ع ت =	يا من تعب ، يا من شقى ، و يا من على الحاضر لقى اخدم يا التاعس للناعس يضرب لمن يكد و يتعب ، لكن النتيجة تبقى لغيره في النهاية	
20	ع ت =	ما فضت بجزة ، ها النوبة جزة و خروف يلا ما قدك آميمون نقل الحجر يضرب لمن يشتكي من أمر أثقل كاهله ، فيصاب بأهول منه و هو قريب من قول أهل بغداد : فقير فوق بعير و عضه كلب	

21	ع ت =	تدوّر على رخصه ، تدب بالدرب نصّه اللي غواك رخصه ، خلي في السوق نصّه يضرب لمن يطمح في الحصول على سلعة بأبخس ثمن لكنها تكون في الواقع مغشوشة ، فالخسارة إذن بينة	تدب : كرسي نصّه : نصفه
22	ع ت =	ألف عصفور ما يترس قدر و الله ما خصاك من الصلاة ركعة ، شمّر على ذراعك تأكل المسقي يضرب في الاعتماد على النفس و التشمير على ساعد الجد دون التواكل إلى الغير	

بعد مقارنة الأمثال العرقبة بالأمثال الجزائرية التلمسانية ، نلاحظ تشابها كبيرا بينهما و يعود هذا التشابه إلى عدّة أسباب منها وحدة الدين و اللغة و التاريخ المشترك بالإضافة إلى احتكاك المشرق بالمغرب عن طريق الفتوحات الإسلامية حيث كان أفراد المجتمع يهاجرون مع الجيوش الفاتحة إلى المغرب و يحتكون بالأهالي مما يؤدي إلى عملية التأثير و التأثر في جميع المجالات و هذا حتما من أسباب التشابه الكبير بين الأمثال العراقية و التلمسانية .

و يجب أن لا ننسى الزحف الهلالي من المشرق إلى المغرب و آثاره على المجتمع ، حيث " تأثر الخليفة الفاطمي كثيرا بالانقلاب الديني السياسي الذي وقع بإفريقيا فعظم عليه خروج المغرب عن الإمبراطورية الفاطمية و انقراض دعوة الشيعة به ، فدبّرت يومئذ مكيدة الحملة الهلالية بإشارة من اليازوري وزير المستنصر الفاطمي ، و كان هؤلاء الأعراب من بني هلال و بني سليم و رياح و زغبة قد أضروا بالديار المصرية و أصبحوا خطرا على الدولة هناك ففتح لهم الخليفة باب الهجرة إلى المغرب و رغّبهم فيه بأنواع من المرغبات انتقاما من دولة صنهاجة الزيرية و ملكها المعز بن بلكين الصنهاجي "[1]

و قد خرجت الحملة الهلالية من الديار المصرية سنة 442 هـ 1051م و نزل هؤلاء الأعراب بالمغرب العربي ، فأكثروا فيه الفساد و النهب و تكرّرت الوقائع بينهم و بين الأهالي و الدولة فتخلى لهم المعز عن

[1] – تاريخ الجزائر العام – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي – الجزء الثاني – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ص 259

الحكم و كان الملتحم بالجزائر في نواحي جبل راشد و مصاب و الزاب الشرقي و فيه قتل القائد أبو سعدي خليفة الزناتي الفتري وزير بني خزر بتلمسان و عجز عن المقاومة كل من صنهاجة و زناتة و أمراء تلمسان من بني خزر و أمراء القلعة من بني حماد و فاز الهلاليون بامتلاك أعظم الجهات بإفريقيا ، و لقد أحدث هذا الغزو الهلالي انقلابا عظيما في البلاد من حيث الاقتصاد و السياسة و الاجتماع و العمران و الثقافة .

يعتبر الموطن الأصلي للهلاليين بالحجاز غربي نجد حول مكة و المدينة و الطائف إلى جبل زغوان و بأرض تيماء من نجد و البحرين و اليمن و كان انتقالهم إلى مصر أيام ولاية عبيد الله بن الحبحاب عليها ثم انحاز الكثير منهم إلَى القرامطة و بعد الفتح الشيعي إلى مصر أسكنهم الخليفة بلاد الصعيد و منها زحفوا إلى المغرب فسكنوه و تفرعت عنهم فروع كثيرة انتشرت في أنحاء المغرب العربي و امتزجت بأهله امتزاج الماء بالماء حتى كدت لا تفرق اليوم بين العرب و الهجين "[1]

فكان منهم بعمالة الجزائر : قبائل الثعالبة و هم بسهول متيجة و عبيد و عمراوة حول جرجرة و أولاد ماضي و سليمانة حول سور الغزلان ، و أولاد نايل في نواحي الصحراء و بعمالة وهران : بنو عامر و هم بين مدينتي وهران و تلمسان و الغرابة هم بتلك النواحي أيضا و المهاجر قرب مستغانم و الجعافرة و أولاد خالد ما بين الساحل و فرندة و سعيدة و بعمالة قسنطينة : المخادمة و أولاد جلال في الهضاب العليا و منهم عتبة ببجاية و رياح بنواحي قسنطينة و مسيلة و الزاب ... إلخ .

[1] – المرجع السابق ص 261

و لقد حصلت لهؤلاء العرب رئاسة و زعامة بهذه المناطق فاندمجوا فيها و أصبحوا يدافعون عنها دفاع الأسد عن العرين .

و الجدير بالذكر " أن زحف بني هلال كان له أثر كبير في الحياة الاجتماعية للعنصرين البربري و العربي و في الحياة الثقافية الشعبية ، حيث أثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان طاغيا على اللسان العربي في الأرياف و المدن أيضا ، و سارت عملية الاستعراب بسير عملية المزج و الاحتكاك طيلة قرون عديدة حتى كادت العربية تعم القطر الجزائري في عهد بني زيان و يقول الأستاذ الكعاك : " إنّ البربرية بقيت لغة حديث بالجبال و الأماكن التي لم يختلط بها البربر بالعرب و لم تنتشر بينهم الثقافة العربية " و ربما كانت لهم آداب عمومية من شعر ينشده المداحون و العجائز في المحافل العامة و الخاصة على مثل ما هو موجود الآن ببلاد القبائل "[1]

إذن كل ما ذكرناه سابقا يدل دلالة قاطعة على أن التشابه الموجود بين الأمثال العراقية و الأمثال الجزائرية في تلمسان لم يكن عن طريق الصدفة و إنما هو نتيجة حتمية لاحتكاك المشارقة بالمغاربة في مختلف الظروف و المناسبات كالفتوحات الإسلامية و الزحف الهلالي على المغرب العربي و لا ننسى أن الهلاليين بالذات كانوا يميلون إلى العامية في لغتهم و آدابهم

[1] – المغرب العربي (تاريخه و ثقافته) – رابح بونار – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر ص 283

حسب ما يقوله بن خلدون[1] و لا شك أن هذا الجانب قد انعكس على الأمثال الشعبية التي تستعمل اللغة العامية أيضا ، فابن خلدون يؤكد أنّ الهلاليين لا يهتمون بقوانين النحاة فأساليب الأدب و فنونه موجودة عندهم ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلام فإن أغلب كلماتهم موقوفة الآخر و يتميّز عندهم الفاعل من المفعول بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب "[2] و طبعا هذا الكلام ينطبق على الأدب عامة و الأمثال الشعبية خاصة كما أنّ التشابه بين الأمثال العراقية و الأمثال المتداولة في تلمسان تفسّره أيضا نظرية الانتشار الثقافي التي تحدثت عنها سابقا و التي ترى أنّ نماذج الثقافة غالبا ما تستعار و أن تشابه النماذج الحضارية في المجتمعات المختلفة لا يكون نتيجة لتطور تلقائي أو مستقل و إنما نتيجة لظهور النموذج الحضاري لأول مرة عند شعب معين في مكان معين و زمان معين ثم انتقاله بعد ذلك إلى المجتمعات أخرى .

إذن نظرية الانتشار الثقافي تؤكد الاستنتاج الذي توصلت إليه و المتمثل في أن هجرة المشارقة إلى المغرب العربي أدت إلى انتشار نماذجهم الثقافية فنتج عن ذلك تشابها مع النماذج الثقافية المغربية عامة و تجلى ذلك التشابه في الأمثال الشعبية خاصة .

---

[1] – ولد عبد الرحمان بن خلدون عام 732 هـ بتونس و تنقل بين المغرب العربي و الأندلس و مصر و الشام ، من أشهر آثاره العلمية (مقدمته)التي تعتبر فتحا جديدا في فلسفة التاريخ و هي مترجمة إلى عدة لغات أجنبية .

[2] – ابن خلدون – المقدمة – المجلد الأول – الطبعة الثانية – دار الكتاب اللبناني – بيروت 1961 ص 269

2- مقارنة بعض الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان ببعض الأمثال الإنجليزية

وقع اختياري على مقارنة الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان بالأمثال الإنجليزية ، و لم يكن ذلك من قبيل الصدفة ، فقد كان من الممكن أن أقارنها بالأمثال الفرنسية نظرا لأن بقاء الفرنسيين في الجزائر مدة 132 سنة لا شكّ أنه كانت له آثاره و انعكاساته على المجتمعين ، المجتمع الجزائري و الفرنسي .

فالتشابه بين الأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان و الأمثال الفرنسية مؤكد لا شكّ فيه لاحتكاك المجتمعين ببعضهما البعض مدة طويلة بالإضافة إلى التبعية الثقافية التي ظلت مستمرة حتى بعد استقلال الجزائر و لا ننسى أيضا انتماء البلدين إلى رقعة جغرافية و ثقافية و حضارية واحدة و هي الدائرة المتوسطية نسبة إلى البحر الأبيض المتوسط .

بذلك فضلت مقارنة الأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان بالأمثال الإنجليزية ، نظرا للتشابه الكبير بينها رغم البعد الجغرافي بين البلدين إذ يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى القارة الأوروبية .

فالجزائر دولة عربية تقع شمال إفريقيا بينما بريطانيا العظمي جزيرة تقع شمال فرنسا ، يحيط بها الأطلسي و بحر الشمال و بحر المانش ، مساحتها 244000 كلم^2 و تنقسم إلى ثلاث مناطق : إنجلترا و اسكتلندا و ويلز و تتبعها إيرلندا الشمالية ، عدد سكانها 57 مليون نسمة .

و اللغة الإنجليزية هي الأكثر انتشارا في العالم و يتكلمها 350 مليون نسمة كما أنّ أمثالها أخذت تدور على ألسنة الناس حتى أصبحت عالمية الرواج .

بالإضافة إلى ما ذكر ، فإن التشابه موجود رغم أنه لم يقع أي احتكاك بين الشعب الجزائري و الإنجليزي عبر التاريخ كما لا توجد علاقة بين الثقافة الجزائرية و الإنجليزية .

و الجدير بالذكر أنه ساعدتني على إجراء الدراسة المقارنة معرفتي للغة الإنجليزية إذ أنني درستها في التعليم الثانوي مدة سبع سنوات .

و الجدول التالي يمثل مقارنة بين مجموعة من الأمثال الجزائرية المتداولة في تلمسان و مجموعة من الأمثال الإنجليزية

مجموعة من الأمثال الإنجليزية و التلمسانية المقارنة[1]

الرقم	الرمز	المثل و مفهومه
1	ت	على قدّ بساطك مد رجليك
	إ	– you must cut your coat according to your cloth
	م	أي أن الحكيم من عرف كيف يتصرّف في هذه الحياة
2	ت	ارمي عودك مع العيدان
	إ	–you must learn to run with the other horses
	م	على المرء أن يجرب حظه في هذه الحيات و قد قال الشاعر و ليس الرزق عن طلب حثيث * و لكن ألق دلوك في الدلاي
3	ت	حتى شاب و داروله كتاب
	إ	– you Cannot teach an old dog new tricks
	م	أي من العناء رياضة الهرم، فمتى شاخ المرء صعب عليه ترويض نفسه
4	ت	كثير الأقدام يمتلّ لو كان يكون وجهه مرايا
	إ	– you may visit your aunt, but not very frequently
	م	كثرة الزيارات تجعل من المرء سمجا غير مرغوب فيه، إذ يقول الشاعر: عليك باغباب الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا

[1] – الرموز : إ : إنجليزي – ت : تلمساني – م : مفهوم المثل

5	ت	حضي السقلة قبل ما تجي في حنكك
	إ	– It's no use crying over spilt milk
	م	أي أنه لا يجب البكاء ، إذا حدث ما نكره ، لأن البكاء لا يرجع ما ضاع
6	ت	الجمل ما يشوفش لحدبته يشوف غير لحدبة بن عمّه
	إ	– you Can see a mote in another's eye, but cannot see a beam in your own
	م	أي أن المرء يرى العيب في أخيه و ينتقده عليه و لا ينظر عيوب نفسه و سيئاتها
7	ت	لي يتمنى خير من لي يستنى و لي يستني خير من لي يقطع لياس
	إ	– without hope the heart would break
	م	ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل ، فالرجاء هو ما يعزي المرء في هذه الحياة و لولاه لضاق العيش على صاحبه
8	ت	الحايط بوذنيه و الغابة بعينيها
	إ	– walls Have ears
	م	أي ينبغي التكلم في الأمور المهمة و التحدث بها في سرّية
9	ت	لا عين تشوف و لا قلب يوجع
	إ	– what the eye doesn't see, the heart doesn't griver over
	م	أي أنّ ما لا تراه العين لا يحزن عليه القلب

10	ت	كي يغيب القط ، يلعب الفار
	إ	–when the cat is away, the mice will play
	م	أي متى غاب المسؤول تصرف الكل على هواه
11	ت	الحومة تغلب السبع
	إ	–union is strength
	م	أي أن في الاتحاد قوة و في التفرقة ضعف
12	ت	يعيا الباطل يعلا و الحق أعلى منه
	إ	–Truth will prevail
	م	أي أن الحق يعلو و لا يعلى عليه ، فلا بدّ للحق أن ينتصر مهما طال الزمن
13	ت	قدرة عشرة ماتطيبش و يلا طابت تنحرق
	إ	–too many cooks spoil the broth
	م	من كثر الأيادي شاط الطعام ، أي كثرة التداول في أمر تخرّبه

14	ت	يخلّط شعبان مع رمضان
	إ	-To make white black
	م	خلّط الحابل بالنابل ، أي اختلطت الأمور بعضها البعض فلا يميز منها شيء
15	ت	الي فات مات
	إ	-Things past cannot be recalled
	م	أي أن الندم و التحسر لا يعيد ما قد ولّى
16	ت	ما كانش دخان بلا نار
	إ	-There is no smoke without fire
	م	لا دخان بلا نار أي لكل حادث ما ينم عنه ، فلا تسري شائعة إلا ّو لها بين الناس أساس
17	ت	لّي فيه طبيعة ما تزول عليه
	إ	-The leopard cannot change its spots
	م	أي أنّ الطبع يغلب التطبع

18	ت	كل خنفوس عند أمه غزال
	إ	–The crow thinks her own birds fairest
	م	أي أنّ كل أم ترى ابنها هو الأجمل و الأحسن حتى لو كان قبيحا
19	ت	كي الولد كي باباه
	إ	–Like father, like son
	م	أي أن الابن ينشأ على مثال أبيه ، فلا غرابة أن يأتي شبيها له فهو ابنه ، فمن شابه أباه فما ظلم
20	ت	يعمل من الحبة قبة
	إ	–He made a mountain out of a mole – hill
	م	يضرب لمن يبالغ في تعظيم الأشياء و تضخيم الأحداث
21	ت	الهنا ضمن الغنا
	إ	–Health is better than wealth
	م	أي أنّ الصحة و السعادة أحسن من المال
22	ت	البعيد العين ، بعيد على القلب
	إ	–out of sight, out of mind
	م	أي أنّ البعيد عن العين بعيد عن القلب

مكتبة العلوم الاجتماعية
المكتبة
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

23	ت	اللي يحبّ البقرة يحبّ عجولها
	إ	–Love me, love my dog
	م	أي من يحب الأم يجب أن يحب حتى أبناءها
24	ت	يد واحدة ما تصفق – الهم بالمتعاونة
	إ	–Many hands, make light work
	م	أي أنّ كل عمل ينجز بالتعاون
25	ت	اللّي عشاه قلية ، يبداها بالغز
	إ	–Never put off still tomorrow what you can do today
	م	لا تؤجل العمل الذي تستطيع القيام به اليوم إلى الغد
26	ت	عند الشدّة و الضيق ، يبان العدو من الصديق
	إ	–A friend in need, is a friend in did
	م	أي أنّ الصديق الحقيقي هو الذي يقف إلى جانبك وقت الشدّة
27	ت	بات مع الزعاف و ما تباتش مع الندامة
	إ	–Better safe than sorry
	م	أي أنّ في التأني السلامة و في العجلة الندامة

28	ت	حتّى يزاد و نسميوه عياد – سبق الحطب قبل ما يخطب
	إ	–Don't count your chickens before they hatch
	م	أي أنه لا يجب العجلة و التسرع ، لأن كل شيء يأتي في وقته
29	ت	ما تخلطش شعبان مع رمضان
	إ	–don't put all your eggs in the same basket
	م	أي أنه لا يجب علينا أن نعمم أحكامنا على الناس ، لأنهم ليسوا سواسية فكل شخص يختلف عن الآخر بأخلاقه و سلوكه و تصرفاته
30	ت	الصمت الذهب المسجّر و الكلام يفسّد المسالة ، إذا شفت لا تخبّر ، وإذا سالوك قول لا لا
	إ	–speech is silver, Silence is gold
	م	أي أنّه إذا كان الكلام من فضة ، فإن الصمت من ذهب لذلك فالصمت مستحب في كثير من الحالات
31	ت	كي تسهل ، تنقبض بشعرة و كي تصعاب تقطع السناسل
	إ	–Easy come, easy go
	م	أي أنّ بعض الأمور تسهل من بدايتها إلى نهايتها و العكس صحيح

بعد إجراء المقارنة بين الأمثال المتداولة في تلمسان و الأمثال الإنجليزية يتبين التشابه الكبير بينهما بوضوح ، و هذا التشابه لا يمكن أن تفسره إلاّ نظرية الانتشار الثقافي أو النظرية التطورية .

فالشعب الجزائري و الإنجليزي لا تربطهما وحدة اللغة و لا وحدة الدين و لا التاريخ المشترك كما هو الشأن بالنسبة للدول العربية ، لذلك أرجعت تعليل التشابه بين أمثال الأمّتين إلى نظرية الانتشار الثقافي و النظرية التطورية .

فمدرسة الانتشار الحضاري ترى أنّ نماذج الحضارة غالبا ما تستعار و أن تشابه النماذج الحضارية في المجتمعات المختلفة لا يكون نتيجة لتطور تلقائي أو مستقل و إنما نتيجة لظهور النموذج الحضاري لأوّل مرة عند شعب معيّن في مكان معين و زمان معين ثم انتقاله بعد ذلك إلى المجتمعات الأخرى .

و بالتالي هناك احتمالين إما أنّ هذه الأمثال الشعبية قد تكون ظهرت في الجزائر و أثناء الاستعمار الفرنسي الطويل الأمد وقعت عملية التأثير و التأثر بين الأمثال الجزائرية و الفرنسية ثم وقع الشيء نفسه بين الأمثال الفرنسية و الإنجليزية نظرا للقرب الجغرافي بين فرنسا و إنجلترا و إما أنه وقع العكس .

إلا أن الأرجح لتفسير ظاهرة التشابه بين الأمثال الجزائرية و الإنجليزية هو ما تراه النظرية التطورية حيث يرى بعض علماء القرن

التاسع عشر أن تطور المجتمعات يوازي بعضه البعض الآخر لأن تطوّر أي مجتمع من وجهة نظر هؤلاء العلماء إنما يسير دائما في اتجاه واحد .

و قد تجاهلت هذه الآراء أهمية الانتشار كعامل في بناء الحضارة ، و رأت بدلا من ذلك أنّ الحضارة تتغيّر في أوضاع مستقلة عن بعضها عن طريق الاختراع أو الاكتشاف أو الابتكار و التجديد ، كما تفسّر ما يوجد بين الحضارات من تشابه على أنه نتيجة لوحدة أو تشابه في العمليات العقلية للإنسان أمام الظروف أو المشاكل المتشابهة .

و أخيرا يمكن القول أن الدراسة المقارنة للأمثال الشعبية قد تكشف لنا الوظائف التي يمكن أن تؤديها الأنماط الثقافية المحلية المختلفة و التي قد تساهم في تأسيس أنماط ثقافية عالمية أو إنسانية .

كما قد تكشف لنا المقارنة الشروط المادية و المعنوية و الكيفية التي يمكن بها لأنماط ثقافية شعبية إنتاج أنماط ثقافية أخرى مماثلة لها في فضاءات ثقافية جديدة .

و قد يساعد البحث المقارن الباحث على فهم و إدراك أنماط ثقافية شعبية على ضوء أنماط ثقافية شعبية مشابهة لها شكلا و مضمونا ، لها من القدرة التعبيرية ما لغيرها و لها من الشرعية الإبداعية ما لغيرها أيضا دون إقصاء أو تصادم أو تسليط نظرة انتقادية تحقيرية تفضل نمط ثقافي على نمط ثقافي آخر.

الخاتمة

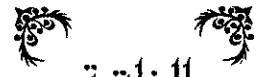

الخاتمة

لقد آن الأوان – في نهاية هذا البحث – لحصر و تحديد أبرز المعالم التي تم اجتيازها بغية استخلاص أهم النتائج المتوصل إليها من وراء هذه المحاولة المتواضعة التي يؤمل أن تكون قد أزاحت الستار عن بعض الحقائق الاجتماعية التي يزخر بها تراثنا من الأمثال العامية أو ساهمت –على الأقل– في فتح باب الآفاق التي يمكن التطلع إليها من قبل الراغبين في اقتحام هذا الموضوع و الغوص في أعماقه .

و انطلاقا من هذا ، فقد بدا خلال هذه الرحلة أن المثل الشعبي من الأشكال التعبيرية الشعبية الأكثر انتشارا و شيوعا بين الناس على اختلاف طبقاتهم و وظائفهم و أجناسهم و أعمارهم و رغباتهم حيث قل ما يخلو حديث من نص مثل شعبي إما من أجل تدعيم صحة الكلام و صوابه و إما لإبراز تفوق المتحدث و استيعابه لموضوع الحديث ، أو رغبة في إعطاء الحديث مرجعية معرفية و ثقافية .

لكن ترى هل الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان تؤدي حقا وظيفة اجتماعية ؟

و إذا كان الجواب نعم فهل هي الآن تؤدي نفس الوظيفة التي أدتها بالأمس ؟

" تعد الأمثال الشعبية إحدى الركائز الأساسية التقليدية ذات الصلة القوية بالمجتمع و بكل ما يدور في فلكه في جميع الميادين ".

إن ما تحمله نصوصها بين طياتها من دلالات تعبر بحق عن طبيعة النمط الفكري والاجتماعي والثقافي السائد داخل المجتمع، فهي تعكس ما جرى وما يجري من أحداث مختلفة، حيث تخلدها بمحاسنها وبعيوبها وذلك إما من أجل الإشادة بالموقف إذا كان فيه ما يستحق الإشادة أو الذم إذا كان فيه ما يستدعي ذلك "[1].

فالمثل الشعبي هو مرآة لتجارب الشعب كما أنه ركيزة ضخمة ينقب الباحث فيها عن أراء الشعب وفلسفته في الحياة وحكمته من أجل توجيه الفرد في حياته اليومية .

و المثل الشعبي أيضا صورة لتفاعل الشعب مع البيئة التي يعيش فيها ، " و الأمثال الشعبية بأشكالها و أنواعها المختلفة تعد مدرسة اجتماعية ثقافية تصور الواقع تصويرا حيا وأمينا و تعلم الفرد العبرة و الحكمة قصد تنظيم معاشه حيث تعطينا فكرة واضحة عن تطور النظم و الحضارات البشرية على مر العصور و الأزمنة . و الأمثال تعكس لنا الواقع من مرارته إلى سعادته ، و من ثورته إلى هدوئه، متنقلة بين التناقضات التي تبنى عليها الحياة البشرية "[2].

1 – د. سعيدي محمد – المثل الشعبي الجزائري – مقارنة بنيوية – رسالة دكتوراه دولة ص 141

2 – د. ناهض قديح " الأمثال العربية " الأمثال العربية – دراستها و مصادرها " مجلة الفكر العربي العدد 49 سنة 1973 ص 18

و قد اتضح من خلال هـذا البحـث أنّ أسـاليب الأمثـال متنوعـة بتنـوع مواقف الحياة وثرائها ، إذ أنهـا تتراوح بيـن الوعـظ و الإرشـاد ، و التلميـح و التصريـح ، و التحذيـر و الـترغيب و الـترهيب ممـا يفتـح مجـال توظيفهـا واسعا لاستعمالها في مواقف اجتماعية متنوعة .

كما أتاح التعامل مع نصـوص أمثـال هـذه الدراسـة أيضـا بلـورة عـدّة خصائص مما تتسم به أمثالنا العامية حيث تبين أنّ هناك انسجاما و توافقا بين قواعدها الأخلاقية و تلك التي تدعـو إليهـا تعـاليم الديـن الإسـلامي الحنيـف ، و ثبت أن لا تنافر و لا تناقض في الأغلب الأعـم بيـن الطرفيـن ، ممـا يـدل دلالة واضحة على التزام الشعب الجزائري بالإسلام و تعلقه بمبـادئ عقيدتـه السمحة .

هذا إلى جانب تميز هذه الأمثال بمرونة الاستعمال و تعدد الإيحـاءات مما يساعد على توظيفها بمعانيها الحقيقية و المجازية و ذلك كله يوصل إلـى تحقيق أغراض اجتماعية متعددة .

وحقّا فإنّ الأمثال الشعبية مثلما أدّت وظيفة اجتماعية بـالأمس ، فهـي تؤدي نفس الوظيفة اليوم رغم تغير الظـروف الاجتماعيـة و رغـم التّطـور العلمي و التكنولوجي ، إذ لفتت انتبـاهي بعـض الأمثـال العاميـة التـي ترتبـط بـالظروف الاقتصاديـة و الاجتماعيـة الراهنـة التـي يعيشـها مجتمعنـا اليـوم ارتباطا وثيقا مثل قولهم :

" ما راني لا تاجر و لا مهاجر و لا عندي كرعين ماجر"

فهذا المثل الشعبي رغم صغر حجمه و رغم بساطته إلا أنه يحمل دلالات متعددة ، فهو يرمز إلى المعاناة الكبيرة و الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يعيشها المواطن الجزائري البسيط ، حيث لم يعد يقو على مواجهة أعباء الحياة المادية إلا التاجر و المهاجر و الرياضي الناجح في مجال كرة القدم .

من هنا يمكننا أن نستنتج أن المثل صورة حيّة تنشأ من الواقع ثمّ تصبح ميثالية لذلك، فمن خلال الأمثال الشعبية نستطيع التنبؤ بمصير المجتمع كما يمكننا توجيهه ، فالأمثال الشعبية تلعب دور القوانين في المجتمعات التي ليست لها قوانين وضعية مكتوبة . كما أنها دستور و قانون العامة يعتنقها الناس و يؤمنون بها بشدّة ، لذا أثرت فيهم و حددت سلوكهم و تصرفاتهم ، واعتمدوا عليها في دعم كلامهم و تأييد أقوالهم و تأكيد آرائهم . و لهذا وجدنا الأمثال و كأنها تكاد تكون نوعا من السلطة الأدبية تفرض على العامة من الناس شكلا معينا في تعاملهم و يأخذ بها معظم الأفراد ، شأنها شأن كل الظواهر الاجتماعية الأخرى الضاغطة على أفراد المجتمع .

إنّ دراسة بعض الأشكال الثقافية و الأدبية و على رأسها المثل الشعبي ، تؤدي إلى فهم الأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع و كذلك الأوضاع الاقتصادية و حتى السيكولوجية أيضا لأن الأمثال الشعبية صورت بحق المجتمع و الإنسان أحسن تصوير ، و كانت صادقة لما تحمله بين طياتها من دلالات مختلفة .

لهذا السبب و غيره ، لقد عدّ كثير من النقاد و المؤرخين و علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيين الأمثال الشعبية وسيلة فكرية فعالة و جريئة من أجل فهم أعماق المجتمع و تعريته من الداخل و إبراز حقيقته الاجتماعية

و الثقافية في كل شموليتها و في كلّ أبعادها و خاصّة إذا كنا نعلم أن الأمثال الشعبية لم تترك أي جانب من الجوانب المعاشية الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية و السيكولوجية إلا و تعرضت له بأسلوب واضح و بسيط و واقعي و تناولته بالنقد و التحليل المباشر أحيانا و الرمزي أحيان أخرى .

و لا ننسى أن الأمثال لبلاغتها و حسن سبكها ، سهلة الحفظ تعلق بالذهن لمجرد سماعها ، فتدخل القلوب في طريقها إلى الذهن و تنساب انسيابا عند الحاجة و وقت الضرورة في أية مناسبة كانت .

و بصورة عامة لقد شكل المجتمع المادة الأساسية للأمثال الشعبية حيث انعكست كل قضاياه عليها .

و بالتالي يمكن للأمثال الشعبية أن ترشدنا في التنبؤ بمصير المجتمع لأنها تعبر عن آلام الشعب و آماله ، و على هذا الأساس يمكننا توجيه المجتمع و التخطيط له بما يتناسب مع طبيعته و طموحاته و ميولا ته .

فالدراسات العلمية التي تقوم على الحساب و الرسوم البيانية و تحديد النسب ، ليست الوحيدة التي تتنبأ بمصير المجتمع بل الأمثال الشعبية أيضا باستطاعتها أن تحقق ذلك و تخوض في هذا المجال .

تلك هي أهم معالم الطريق المجتاز في هذا البحث ، و هي معالم لا نزعم الإحاطة بجميع أطراف حقيقتها ، فذلك أمر يتعذر على أي باحث القيام به بمفرده بل لابد من تآزر الجهود للوصول إلى كنه تلك الوظيفة الاجتماعية و حتى يتسنى استغلال مواد هذا الكنز الثمين الذي هو الأمثال و الذي تركه لنا سلفنا الصالح بطرق مفيدة و ناجعة .

ملحق للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان

ملحق الأمثال الشعبية المتداولة في تلمسان ، مرتبة حسب الحرف الأخير الذي يماثل الروي في الشعر

*** الباء ***

- مول الفول ، يقول طيّاب
- كلّ خطّاب رطّاب
- وحدة في الجيب خير من عشرة في الغيب
- نبيح الكلاب ما يشدّ السحاب
- الذبانة ما تقتلش ، بصّاح توجّع القلب
- أصرف ما في الجيب و ربي يجيب
- اللي عينو في العذاب يخلّط بين النسا و الكلاب
- ما بقا للذيب غير النديب
- كثرة التقرقيب و قلت النقيب
- بهت النسا بهتين ، من بهتهم جيت هارب ، متحزمين باللفاعي و متخللين بالعقارب

- الأقارب عقارب
- مول النية يغلب
- ما تضرب حتى تقرّب ، و ما تصحب حتى تجرّب
- ذريّة الشيب ، يكلها الذيب
- سال المجرب وما تسالش الطبيب
- اللي حبّ الزين يصبر لعذابو
- شوية لقلبي و شوية لربي
- حتى شاب و علقو لوا كتاب
- لا تقول من ذا الماء نشرب و لا تقول من ذا لقضا نهرب
- اللي جا و جاب يستاهل الفراش و الجواب و اللي جا و ما جاب يستاهل تحريشة من الكلاب
- سبّق الحطب قبل ما يخطب
- الرجل هيبة و لو كان عشيبة
- الدعوة بلا ذنوب في راس مولاها تذوب
- الطولة و الخيابة

*** التاء ***

- خضار و يتعشى بورق الفت
- الدنيا فايتة و تفوت ، الحي فيها يموت و الطامع بها مشموت
- طريق و لو دارت و بنت الأصل و لو بارت
- يا اللي تهدر في البنات ، وين تبات
- اللي ما يعطيك القوت ، يبغيك تموت
- اللي فات ، مات
- اللي خلى البنات ، ما مات
- الليل بودينتو و النهار بعوينتو
- قردة و ولدت بنت
- حوت ياكل حوت
- الطويل يقضي حاجتو و القصير بعيط لجارتو
- هذا زمان البهوت ، اللي يقول فيه الحق راه يموت
- على التوت ماشي يموت
- فوت على الواد الهرهوري و ماتفوتش على الواد السكوتي

- الله يرحم اللي مات ، و خلى الفتات
- بنحّي الزفت من اللفت
- شباح البويته وليد و بنيتة
- عين الحوت ، اشرب و فوت

*** الجيم ***

- السلطان بالتاج و يحتاج
- الحاج موسى ، موسى الحاج
- بيّت كالدجاج
- مارس بو ثلوج و تاليه عسلوج
- اللي ما يحب يتزوج ، يتعوج و يقول زهري معوّج
- من درجة لدرجة حتى لباب الرجا
- اللي كلا دجاج الناس ، يسمن دجاجو

*** الحاء ***

- حجرة من يد الحبيب تفاحة
- اللي عندو من بنوحو ، كل ساعة تخرج روحو

- الهمّ دواه الغمّ و السترة ليه مليحة
- لا تسرّج حتى تلجم و أعقد عقدة صحيحة ، لا تتكلم حتى تخمّم لا تعود لك فضيحة
- الشعير و الراحة و لا القمح و الفضاحة
- تبدال السروج راحة
- فارس بلا سلاح كالطير بلا جناح
- إذا تباعدوا يصايحوا و إذا تقاربوا يتناطحوا
- اللي ماشي مكتوبة من الفم تطيح
- اللي حب الشباح ، ما يقول آح
- يا قاتل الروح وين تروح
- الصامط يغلب القبيح
- الصراحة راحة
- عمل مليح و لا أقعد تريح
- دراهم المجحاح ياكلهم المرتاح
- سيدي مليح و ضربه الريح

- الحشومة باينة على وجه الطرّاح

***الخاء ***

- ما يدخل بين الظفر و اللحم غير الوسخ
- السلام يجيب الكلام ، و الكلام يجيب البطيخ
- اللي حبّ الخوخ ، ما عندو علاش يزوخ

***الدال ***

- لولاد ولاد و لو حكموا البلاد
- اللي يتكل على لولاد يديه الواد
- خلط راسك مع النخالة ، ينقبوك لجداد
- الحدايد للشدايد
- جارك القريب خير من خوك البعيد
- اللي يكبروا ولادو ، يرجع لبلادو
- اللي عند ربّي ما شي بعيد
- الخلطة تردي و الجرب يعدي
- يلا حلفو فيك الرجال بات راقد ويلا حلفوا فيك النسا بات قاعد

- شدّ مدّ
- الجود من الموجود
- لمن تقرا زابورك يا داوود
- الشامي شامي والبغدادي بغدادي
- حديث لوسادة ينسي الشهادة
- أخدم بصولدي وحاسب القاعد
- في الجليد أحرث و زيد
- ربّي خيره ممدود ماشي محدود
- خلاه ممتود و مشى يعزي في محمود
- النار تجيب الرماد
- صام عام وكي فطر ، فطر على جرادة
- عيش و باندو في السوق يتقاودوا
- اللي ما عنده شاهد يموت كذاب

الراء

- الخير مرا والشر مرا
- الحرّ حرّ و الصنعة ما تضرّ
- مين أنا كنت نطمّر ، أنت كنت تزمّر
- يلا ما قدّك يا ميمون ، نقّل الحجر
- أحرث بكرى و لا روح تكري
- ضرب الكبير يتعلم الصغير
- المرا تجيب العار لباب الدار
- طلب لبنتك الزهر و ما المرا تعلّم لمرا.
- لبن الناس ما يسمىّ كسرة ، و ولد لناس ما يطوّل العشرة
- الدراري لولهم فاكية و تاليهم فاكرة
- الدراري ماكلتهم نجارة و لبستهم خسارة
- ما يقعدو على أطباق التمر حتى يقعدوا على أطباق الجمر
- اللي حبّك ما يبني لك قصر ، و اللي كرهك ما يحفرلك قبر
- الحمار القصير بيان دايما صغير

- الطولة للنخل و السمانة للبقر و بنادم قدّو قدّ القبر
- الجار جار و لو كان بعيد عليك بربعين دار
- في ابريل يتميز القمح من الشعير
- الجار قبل من الدار
- اللي جا ، جاه الخير و اللي ما جاش يقعد في دارو خير
- اللي باعك بالفول ، بيعوا بقشورو
- اللي عطاه ربي يسمى شاطر
- اخدم يا صغري لكبري و خدم يا كبري لقبري
- قبر يبكي على قبر و ما جايب لراسو خبر
- اصبر تجبر
- ما راني لا تاجر و لا مهاجر و لا عندي كرعين ماجر
- جدادة مربوطة و الفلالس يدورو
- يقعد مصر
- ما يبقى في الواد غير حجاره

***الزاي ***

- البزّ و قلّة ما يغزّ
- شكون اللي يقول للسبع فمّك خانز
- اللي عشاه قلبه يبداه بالغزّ
- اللي ربّى ولد الناس كاللي دقّ الماء في المهراز
- الحرّ بالغمزة و البرهوش بالدبزة
- حرصي و لا مدرسي و لا متعلم الدراز
- الكبدة ما لها سيّة لو كان تطيح في غرغاز

السين

- اللي يتمنى خير من اللي يستنى و اللي يستنى خير من اللي يقطع لياس
- اخدم بفلس و حاسب الناعس
- مول العرس يتعرس و لحمق يتهرس
- ساسي ما يحمل ساسي حتى يطيحوا في حاسي
- العروسة فوق الكرسي ما تعرفها فين ترسّي
- اللي ما عندو فلوس كلامو مسوس

- اللي ما رقّع ما لبس
- الناس تعرف النّاس
- بالك تنسى و تامن النسا
- كل ما يعجبك و ألبس ما يعجب الناس
- التهراس يلقى الباس
- النسا كيدهم يتنس
- المليح ليه و لنّاس و القبيح حدّو حد راسوا
- خطاك الغرس في مارس
- اضرب الطاروسة تخاف العروسة
- الحديث قياس
- اخدم يا الناحس للناعس
- احسبتك كرمة و فيها الكرموس سعّا زبلة و فيها الناموس
- اللوسة هويسة

*** الشين ***

- ما يهش ، ما ينشّ
- الخير يلّش و الهمّ يكمش
- على كرشو خلا عرشو
- كنا بلا شي و زدنا الشواشي
- قلت الشي ترشي
- يقول للكلب هش و يقول للخاين خش
- اللي يتكل على جارتو ييات بلا عشا

*** الصاد ***

- اللي غواك رخصو ، خلّي في السوق نصّو
- العصا لمن يعصى
- الشين مع الشين يجيب الخنافس ، و الشين مع الزين يجيب الطاوس و الزين مع الزين يجيب الذهب الخالص
- اللي ما يقنع بالخبزة يرضى بالنص

*** ض ***

- الرزاق في السما و الصلاح في الأرض
- اللي باع أرضو ، باع عرضو
- اليدين الكوحل يجيبوا الخبز لبيض
- الحضا يغلب القضا
- اللي يطيح من السما ، تلقفه لرض
- ما دامها تقاقي و هي تزيد في البيض
- اللي ما وصلش للعنقود ، يقول عليه حامض

*** الطاء ***

- ياجورة في الحيط خير من جوهرة في الخيط
- الضيف ما يتشرط و مول دار ما يفرط
- الفار لمقلق من زهر القط
- الوجع في الرأس و الكي في المساطة
- ما عندي رية ، ما يتبعوني قطوط
- الجوع يعلم السقاطة و العرا يعلم الخياطة

- سلك بالهركاس حتى تصيب الصباط
- النوطة تحب النوطة في المجرة مشلوطة
- اللي جا بلا عرضة يقعد على قرطة

*** العين ***

- الطمع يفسد الطبع
- جا يسعى ودر تسعة
- اللي بغاها قاع خلاها قاع
- يلا من عندي و عندك تنطبع و يلا غير من عندي تنقطع
- خودها من يد الشبعان يلا جاع ، مشي من يد الجيعان إلا شبع
- نوصيك يا حارث الدوم ، و الدوم كثروا انفاعو ، الدم ما ينفع الدم ، يا ويح من خانو ذراعو
- اللي خلق ما يضيع
- الحومة تغلب السبع
- سبع صنايع و الرزق ضايع
- عش تسمع

- كثير الصنايع يبقى بلا صنعة
- اللي ما فيه النفع ادفع
- لا عين تشوف لا قلب يوجع

* الفاء *

- الذراع الوافي ما يحافي
- السبع و الحلوف ، كل واحد باه معروف
- اللي يدعي القوة ، يموت بالضعف
- بالرزانة تنباع الصوف
- أذكر السبع ، يهدف
- اللي تطوف ما تغزل الصوف
- من دس يخاف و من شك يخاف
- اللي يخمم بزاف ، يموت بالزعاف
- اللي حبّك حبّه و في محبته كون صافي ، و اللي كرهك لا تسبّه و خليه تلق العوافي
- الحوانت متسامية و لرزاق مختالفة

- كول شي بسيف و الزواج بالكيف
- من عام عبد الوافي ، ما شربت مايا صافي ، ما كليت علفي وافي
- الطير المعياف ما يربي كتاف
- يمشي للبحر يصيبه ناشف

* القاف *

- اخسر و فارق
- الخالة من النخالة و العمّة من الدقيق
- اخدم يا الشاقي للباقي
- الحمار ما يشم القرفة
- العدو ما يولي صديق ، و النخالة ما تولي دقيق
- رقيقة و مرقوقة و على القلب معشوقة
- اضرب ذراعك تاكل المسقي
- اعمل الهم في القفة ، شي يطيح و شي يبقى
- يلا قعدت راك مرتي و يلا مشيتي راك مطلقة
- يد واحدة ما تصفق

- قدرة عشرة ما تطيب و يلا طابت تتحرق
- بات ليلة مع الدجاج صبح يقاقي
- اللي قاريه الذيب حافظو السلوقي
- نقولها طق في الطبق
- المزود الرقيق و شحال يرفد دقيق
- لا تجري لا تهقهق و امشي مشية موافقة ، ما تدي غير لي كتبلك لو كان تموت بالشقا
- المرا المرّاقة مرزاقة
- اللي حجّ حجّ و اللي عوق عوق

* الكاف *

- سوق النسا سوق مطيار ، يا الداخل ردّ بالك ، يوريولك من الربح قنطار و يديولك راس مالك
- أنا ما نقول لك ، و أنت ما يخفى عليك
- خدم يا عبدي و أنا نعينك
- امشي مع ندّك و البس قدّك و تبّع طريق باك و جدك

- خوك خوك ، لا يغرّك صاحبك
- دمك هو همّك
- الرجل بلا سكة و المرا بلا ركّة واجي يا الهم و توك
- صنعة بوك لا يغلبوك
- اعمل يديك على قلبك ، اللي يوجعك يوجع غيرك
- خوك من واتاك ، مشي من ولاك
- اعمل كجارك و لا بدّل باب دارك
- اضربني و بكى و سبقني و اشتكى
- ما تاخذش الراي اللي يضحكك و يضحك عليك ، خذ الراي اللي يبكيك و يبكي عليك
- بلّع باب دارك و لا تخون جارك
- اللي ما هو ليك غير يعييك
- يلا يضربك القاضي لمن تشتكي
- خوك من أمّك كي العسل في فمّك و خوك من بوك كي العبيد يلا صحبوك

- العود اللي تحقرو يعميك
- الشركة هلكة
- انسى الهمّ ينساك
- سخّر المعجاز يدبر عليك
- أجيني يا بلا و لا نجيك

* اللام *

- البركة في القليل
- اخدم بالرطل و لاتعطل
- القدرة بلا بصل ، كي المرا بلا عقل
- كل خنفوس عند امّاه غزال
- ياكل الغلّة و يسبّ الملّة
- الصابر ينال
- يا اللاهي بهمّ الناس ، همّك واش تواسيلو
- اللي وفى أجلوا يمدّ رجلو
- اللي ما عندوش الرجال يموت ذليل

- يغطي الشمس بالغربال
- ما ينكر أصلو غير البغل
- ما يخسّر بين الرجال غير النسا و المال
- كل من طلع ينزل ، و كل من سمن يهزل
- اللي قرصو الحنش ، يخاف من الحبل
- غمّض عينيك ، يصبح الحال
- كل شي بالأمل ، غير الرزق بالعمل
- الكسل ما يعطي العسل
- الحب الأول ما يتحول
- اللي يحب العسل ، يصبر لقريس النحل
- اخدم باطل و ما تقعدش عاطل
- الصمت ذهب مسجّر و الكلام يفسّد المسالة ، إذا شفت لا تخبّر و إذا سالوك قول : لالا
- لا يعجبك نوار الدفلة في الواد داير طلايل ، و لا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل

- ابني و علّي و روح و خلّي
- اللي صاب الدهان يدهن كل مفصل
- اللي فاتك بليلة ، فاتك بحيلة
- الحديث و المغزل
- الحمار حماري و انا نركب من الرول

* الميم *

- لا تخمّم ، لا تدبّر ، لا ترفد الهم ديمة ، الفلك ما هو مستمّر و لا الدنيا مقيمة
- الصمت حكمة و منّه تتفرق الحكايم ، لو مانطق ولد اليمامة ، ما يجيه ولد الحنش هايم
- ما ترمي ما حتى تصيب ما
- يلا انت الباي أنا شلاغمو
- زواج لبدا فتش لو عام
- الرجل بالفحم ، يجيب القفة باللحم
- ما يفسد بين الأحباب غير النسا و الدراهم

- اللسان ما فيه عظام
- الصبر يثقب الرخام
- مشات للحمام ، جابت خبر عام
- ضربة بالفاس خير من عشرة بالقادوم
- أنت تتمتم و أنا نفهم
- الفم يسلم و القلب يخمّم
- الضحك تبسام و الكي توشام
- اللي تزوج بنت عمّو مثل اللي عيد من غنمو
- قعاد السلامة و لا زواج الندامة
- الشيب يظلم
- الدوام يثقب الرخام
- ميات رومي ولا واحد مدرومي
- الميدة بلا ما من قلة الفهامة

*النون *

- اللي مكتوبة على الجبين ، ما يمحوها يدين
- العمشة في بلاد العومي ، كحلة العيون
- يفنى مال الجدين و تبقى صنعة اليدين
- راس البطال فيه ألف شيطان
- ربي يعطي اللحم للّي ما عندو سنان
- أربعة ما فيهم أمان : المرا و السلطان و البحر و الزمان
- النسا مقاليع إبليس و الشيطان
- الشبعان ما درى بجيعان
- يلا غلبوك بالجديد غلبهم بالصابون
- باللسان تبني تلمسان
- الفم المبلع ما تدخله ذبانة
- المذبوح يعيب على المسلوخ و المعلق يقول الله ينجينا
- الدار دار بونا و العبيد يطردونا
- يحبّ كالدبزة فوق العين

- حمو شين و عبايته زينة
- النار تحت التبن
- كي حامو كي تامو كي تيرني كي بودغن
- الزلط و التفرعين
- الابرة تكسي غيرها و هي عريانة
- الذيب المقرطط يحب كل الذيوب مقرططين
- الخروف المليح من الرقبة يبان
- اعمل راسك بهلول ، شحال تشبع بنون
- أنا باللقمة لفمّو و هو بالعود لعيني
- العمشة في وسط العومي تسمى كحلة العيون
- العرضة سنة و المهبول اللي يدنّى
- الدين مسود الخدين
- جاوا من تافنة و ركبوا على اكتافنا
- الهم بالمتعاونة
- اللي يزرع يزرع المرواني و اللي يغرس يغرس الغداني

- أوزيدان ، كل شجرة بشيطان
- سيني سيني و النعاس يعبيني
- وصل للواد و جا عطشان

* الهاء *

- اعمل الخير و انساه ، و اعمل الشرّ و اعقل عليه
- لساس الناس ما تبنيه و ولد الناس ما تربيه
- عراكها و لا تراكها
- كي يموت الميت يطوالو رجليه
- اللّي يحب الدنيا يبكر لها و اللّي يحب الآخرة يبكر لها
- اللّي دارتو العمشة ياكلوه اولادها
- اللّي ما جا مع العروسة ما يجي مع ماها
- الكلمة اوفيها ولاّ موت فيها
- كل قمحة ربي يجيب لها كيالها
- مد يدك و اتبعها و لاّ كمشها و اقعد عليها
- ما يتزاوجوا حتى يتشابهوا

- من جاور قدرة ، ينطلى بحمومها ، و من جاور صابون جاب نقاه
- قاه – قاه و من دار شي يلقاه
- شبوب الرجال في عقولها و عقول النسا في شبوبها
- ما يحس بالجمرة غير المكوي بها
- اقلب القدرة على فمها ، البنت تشبه امها
- كي الولد كي باباه
- الطايع والديه كل خير يجيه
- اللي ما رباوه والديه ، الزمان يربيه
- واحد يخدم عليه رايه والاخر يخدم على رايه
- الكلب ما يفوت خوه
- اللي عيبه في وجهه ما يخبيه
- اسقيه و سقسيه
- اللي تحب تكويه ، اسكت و خليه

الخيمة باوتادها و المرا باولادها

*** الياء ***

- السان الحلو ، ترضعو اللبية
- يلا ضربك القاضي ، لمن تشتكي
- خذي النوري و لا تبوري
- ما في الشتا ريح دافي ، و ما في النسا عهد وافي
- عمشة خير من عمية
- آش يخصك يا العريان يخصني الخواتم يا مولاي
- اللي عطاها ربي البنية ، يحفظها و هي حية
- كلّ شي يزيد شوية ، و الذهب يزيد وقية
- كثير القدام يمتلّ ، لو كان يكون وجهه مرايا
- المرض بالقنطار و الشفا بالوقية
- اللي فيك يا ولية ، ردّيه فيّا
- راسي و راسك ، ماشي في شاشية
- ميات جنية و لا واحدة عبادية

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع العربية

- القرآن الكريم (رواية ورش)
- الحديث النبوي الشريف
- ابن عبد ربّه – العقد الفريد – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر –الطبعة الثانية –الجزء الثالث.
- ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني–العمدة–دار الجيل–بيروت 1981
- ابن منظور –لسان العرب –طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق
- –أحمد أمين–فجر الإسلام – مكتبة النهضة المصرية–الطبعة التاسعة 1964
- –أحمد رشدي صالح–فنون الأدب الشعبي–دار المعارف–القاهرة 1954
- –أحمد أمين –قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية – لجنة التأليف و الترجمة 1953–القاهرة
- –أحمد أبو زيد و آخرون–دراسات في الفلكلور–دار الثقافة–القاهرة 72
- ألكسندر كراب – علم الفلكلور–ترجمة رشدي صالح–دار الكتاب العربي –القاهرة 67

-إبراهيم شعلان -الشعب المصري في أمثاله العامية -الهيئة المصرية للكتاب- القاهرة 72

-إبراهيم نبيلة-أشكال التعبير الشعبي-دار المعارف-الطبعة الثالثة-د-ت

-أفلاطون -الجمهورية - دار الكتاب العربي -القاهرة 1967

-جولي مراد- معجم الأمثال المقارنة (انكليزي-عربي) المراد

-حنا الفاخوري-تاريخ الفلسفة العربية -بدران للطباعة والنشر-بيروت

-دور خائم- قواعد المنهج في علم الإجتماع -الترجمة العربية

-رابح بونار -المغرب العربي - تاريخه وثقافته -الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر

-الزمخشري الكشاف-الجزء الرابع-دار الكتاب العربي -بيروت 1947

-سعيدي محمد -المثل الشعبي الجزائري -مقاربة بنيوية -دكتوراه دولة في الأدب الشعبي

-السيوطي -المزهر في علوم اللغة -دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الثالثة -القاهرة 1958

-سيمون إبراهيم حمصي -ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية

-الشريف الرضي -نهج البلاغة -الجزء الثالث

-عبد الرحمان بن خلدون -المقدمة -المجلّد الأول -الطبعة الثانية -دار الكتاب اللبناني-بيروت 1961

-عبد الملك مرتاض -الأمثال الشعبية الجزائرية -دراسة في الأمثال الزراعية و الاقتصادية بالغرب الجزائري-جامعة الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية .

-عبد الملك مرتاض -في الأمثال الزراعية -جامعة وهران-ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .

-عبده الشمالي -تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية و آثار رجالها -دار صادر بيروت 1965-الطبعة الرابعة.

-عبد الحميد لطفي -الأنثروبولوجية الاجتماعية -الطبعة الثانية 1975 -دار المعارف .

-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي -تاريخ الجزائر العام - الجزء الثاني -ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر .

-عبد الحميد بن هدوقة -أمثال جزائرية -الجزائر 1992

-عفيف عبد الفتاح طباره -روح الدين الإسلامي -الطبعة الحادية و العشرون -دار العلم للملايين بيروت -لبنان .

-عبد الرحمن المجدوب -القول المأثور من كلام الشيخ مع مقدّمة و شروح-تصنيف نور الدين عبد القادر - المطبعة الثعالبية - المكتبة الأدبية - الجزائر .

- فؤاد زكرياء - نوابغ الفكر الغربي - دار المعارف

- كمال الدسوقي – النمو التربوي للطفل و المراهق -دروس في علم النفس الارتقائي دار النهضة العربية للطباعة و النشر-بيروت 1979

- محمد بن عمرو الطمّار – تلمسان عبر العصور -المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر-

-محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – ترتيب : محمود خاطر – مختار الصحاح – دار المعارف بمصر – القاهرة 1973

- محمد المرزوقي – الأدب الشعبي – الدار التونسية للنشر 1967

- الميداني – مجمع الأمثال – دار مكتبة الحياة – بيروت 1961 – الجزء الأول

-مجموعة مؤلفين-المنجد في اللغة والإعلام-دار المشرق-بيروت 1973

-مجموعة من الأساتذة -الموسوعة الفلسفية -ترجمة عن الإنكليزية- طبعة مكتبة الأنجلو مصرية 1963

-ميشال مراد -روائع الأمثال العالمية -دار المشرق – بيروت

-هنتر ميد -الفلسفة أنواعها و مشكلاتها -ترجمة فؤاد زكرياء -الناشر دار النهضة-مصر 1969

- ولديورانت – قصّة الفلسفة – ترجمة فتح الله محمد المشعشع – مؤسسة المعارف بيروت.

المجلات والدوريات

-التراث الشعبي : مجلة شهرية تصدر عن وزارة الثقافة و الإعلام – دار الجاحظ للنشر -بغداد- العراق

* العدد الأول-السنة الحادية عشرة 1980

* العددان الثالث والرابع – السنة الثانية عشرة 1981

* العدد الخامس – سنة الحادية عشرة 1980

* العددان السادس و السابع – السنة الثانية عشرة 1981

* العدد الثامن – سنة الحادية عشرة 1980

* العدد العاشر – السنة الثامنة 1977

* العدد الحادي العاشر – السنة العاشرة 1979

-الثقافة الشعبية – تصدر عن معهد الثقافة الشعبية لجامعة تلمسان،العدد 2 ، عام 1415 هـ

-مجلة الفكر العربي -العدد 49 سنة 1973 .

مراجع باللغة الأجنبية

- Kada Boutarene -Proverbes et dictions populaires algériens O.P.U Alger – 1985
- Benchened Mohamed – proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb (3 tomes) – Paris 1907
- Larousse du XX° siècle
- Encyclopedia Britannica Vo 18-1966
- The Encyclopedia Americana Vo 22-1956
- The oxford dictionary of English proverbs
- Le soir d'Algérie – N° 356 vendredi et samedi 1-2 novembre 1991

الفهرس

المقدمة .....أ
التمهيد : نبذة جغرافية و تاريخية عن تلمسان 7
الفصل الأول : مدخل إلى المثل
1-تعريف المثل لغة 14
2-المثل في القرآن الكريم 17
3-تعريف علماء العرب للمثل 20
4-تعريف علماء الغرب للمثل 26
5-المثل في فلسفة أفلاطون 28
6-ظهور المثل الشعبي و وظيفته 31
الفصل الثاني : البعد الاجتماعي للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان
1-الأسرة في الأمثال.....37
2-الزواج في الأمثال 48
3-المرأة ، مكانتها و صورتها في الأمثال 56
4-العمل في الأمثال 70
الفصل الثالث : البعد الأخلاقي للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان
1-المفاهيم الكبرى للحياة الخلقية 81
2-القيم الأخلاقية في الأمثال الشعبية 89

الفصل الرابع : البعد الاقتصادي للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان
1- النشاطات الاقتصادية.....113
2- الادخار و التدبير المنزلي 128
الفصل الخامس : دراسة مقارنة للأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان
1-مقارنة بعض الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان ببعض الأمثال العراقية 146
2-مقارنة بعض الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان ببعض الأمثال الإنجليزية 163
الخاتمة 175
ملحق الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة تلمسان 181
قائمة المصادر و المراجع 209